الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي: صالحي أحمد -النعامة-

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي بعنوان:

نكبة دمشق الثانية، دراسة استلهامية من المجموعة القصصية "فوضى الأشياء" لزرياف المقداد

ميدان اللغة والأدب العربي شعبة الدراسات الأدبية تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
جميلة سليماني

إشراف الأستاذة:
*د. أمينة بلهاشمي

لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة
د. بوشلاغم عبد الرحمن	أستاذ محاضر-ب-	رئيسا
د. بلهاشمي أمينة	أستاذ محاضر-أ-	مشرفا و مقررا
د. بغداد بلية	أستاذ محاضر-أ-	مناقشا

السنة الجامعية: 1445 ـ 1446هـ / 2024 ـ 2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : جميلة سليماني

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 208236196

الصادرة بتاريخ : 2022/08/28

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات لصالحي أحمد

قسم : اللغة و الأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : نكبة دمشق الثانية دراسة إستطلاعية من المجموعة القصصية "فوضى الأشياء" لزياد المقداد

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025/06/03

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلى صاحبة القلب الكبير والرأي السديد، ملهمتي التي غرست في روحي حب المعرفة، والصبر على الصعاب، بكل تحد وإصرار، ستظل كلماتك وإرشاداتك نبراسا أستضيء به في دروب العلم والحياة.

أقدم لك خالص الشكر والتقدير، وعظيم امتناني، سائلة العلي القدير أن يجزيك خير الجزاء ويمن عليك بتاج الصحة والوقار.

معلمتي، ملهمتي، قدوتي الدكتورة "أمينة بلهاشمي"

الإهداء

إلى سندي ورفيق الدرب في السراء والضراء، زوجي الكريم.

إلى بهجة الروح حبيبتي الغالية أمي حفظها الله ورعاها، إلى روح أبي رحمات الله تغشاه.

إلى زينة الحياة ومشروع حياتي أبنائي الأعزاء: أحمد، عبد المجيد، رباب وعفاف.

إلى أخويّ الغاليين اللذين لن يكررهما الزمن: سليمان وعبد الرزاق.

إلى أخواتي كلّ باسمها

إلى جميع العائلة والأصدقاء.

جميلة

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا، والصلاة والسلام على أفصح ناطق بالضاد قاطبه حديثه الشهد عند الذائق الفهم سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل.

يعد الأدب باختلاف أجناسه وتعدد روافده صورة وعي كاتبه، بتجارب الأمم والشعوب، يصور ويحاكي الواقع، وما يحدث فيه من آمال وآلام، يغوص في الأعماق فيسعد لسعادته، ويحزن ويكتئب لنكباته، فكلاهما (الأدب والأديب) يحفظ الماضي، ويوثق الحاضر ويستشرف القادم من الزمن، وبما أنّ أدب النكبات من مجمل الآداب فهو يحمل في طياته ما يحمل من ثقل الآلام والمعانات، إذ ينشأ ويتطور في كنف الكوارث الكبرى التي تصيب المجتمعات، سواء كانت نكبة سياسية، طبيعية، اجتماعية، أو اقتصادية، تترك بصمات واضحة التفاصيل في الوعي الجمعي، والفردي؛ فيكون التعبير عن تجاربها المؤلمة وتوثيق أوجاعها، ومحاولة فهم وتفهيم تداعياتها وأسبابها تحصيل حاصل لأقلام واعية بخطورة الوضع.

فأدب النكبة أدب يسرد الواقع ويبحث في الأسباب محاولا إيجاد الحلول، يصور المعاناة الإنسانية ويخلد الذاكرة، كما أنه يحفظ الهوية، ويدعو إلى الصمود والمقاومة، لبناء غد أفضل. جاد الأدباء المعاصرون بإبداعاتهم في مختلف الفنون الأدبية، من شعر ونثر، ناقلين ما يحدث في الحياة الراهنة، إذ أن الأمة العربية تعيش ساعة موجعة تترامى النكبات في أحضانها ترامي الكلاب الجائعة على فريستها، وهذا هو مدار بحثنا الموسوم: "**نكبة دمشق الثانية، دراسة استلهامية من المجموعة القصصية فوضى الأشياء لزرياف المقداد**".

وقد تأتى اختيارنا لهذا الموضوع رغبة الأستاذة المشرفة الدكتورة أمينة بلهاشمي، وقد تزامنت هذه الرغبة مع أثر عميق في نفسي، لما آل إليه إخواننا وأشقاؤنا السوريون من شتات وتشرد في أقطار العالم، ومشاهدة الأمهات والأطفال السوريين في أطراف الطرقات الجزائرية، حاملين همومهن فوق أكتافهن مادين يد الحاجة، سائلين العون على زمن أشعث أغبر أخرجهن من ديارهن تشريدا، جوعا، وقهرا...

فقد ضرب الشعب السوري بنكبة عمياء، صماء، تجرّع فيها كل أشكال العنف، من قتل، وتشريد، وقهر، وشتات، وجوع، في حرب داخلية مترامية الأطراف، كان لابد للأقلام أن تصرخ؛ فسالت هذه الأخيره دما قبل أن تسيل حبرا، ومنه كانت إشكالية الموضوع تحت عدة تساؤلات:

-ما هي النكبة؟

- وما هو أدب النكبة؟

- كيف عالج أدب النكبة نكبة دمشق الثانية؟

- كيف جسدت الكاتبة السورية زرياف المقداد النكبة في مجموعتها القصصية"فوضى الأشياء"؟

- ما هي ملامح النكبة في المجموعة القصصية "فوضى الأشياء"؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من صياغة خطة بحث تلم بجميع الإشكاليات، فكانت على النحو التالي:

مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة، جاء المدخل معنونا بأدب النكبة، قدمت فيه تعريفا لغويا، واصطلاحيا للنكبة، كما قدمت مفهوم أدب النكبة، أما الفصل الأول فكان نظريا، تتخلل عناصره رؤى تحليلية لأعمال قصصية، لأن عنوانه جاء كالتالي: من أدب النكبة في القصة العربية، وأما الفصل الثاني فكان تطبيقيا خالصا، عنون بـ: نكبة دمشق في المجموعة القصصية فوضى الأشياء، مستخلصة ملامح النكبة من المجموعة، كما تضمن تعريف المجموعة القصصية فوضى الأشياء، وكان ختام العمل رصدا لأهم النتائج المتوصل إليها، كما نأمل المزيد في هذا الموضوع، لأنه عميق يحتاج إلى دراسات موسعة.

وقد تتبعنا المنهج التكاملي، مدعمين ذلك بآليات الوصف والتحليل، إذ لم يخلُ البحث من الصعوبات التي كانت تبدو كالحواجز الاسمنتية في بداية الأمر، التي يستحيل اجتيازها،

إلا أن توجيهات وإرشادات أستاذتنا المشرفة كانت عونا وسندا ومصباحا ينير الطريق للمضي قدما، فهانت وتذللت المعيقات، وصارت الطريق معبدا، يوصل إلى بر الأمان، تحت أيدي آمنة، أمينة بلهاشمي، فالظاهر أنه اسم على مسمى، فشكرا جزيلا لها.

ومن بين المراجع التي اعتمدتها لإنجاز هذا البحث كتاب: أدب النكبة في التراث العربي القديم، لحمدان محمد، وكتاب حسين جمعة: ملامح في الأدب المقاوم، وكتاب القصة الجزائرية المعاصرة، للناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، والمجموعة القصصية فوضى الأشياء محل الدراسة.

فالحمد لله، كل الحمد لله رب العالمين، أحمده حمدا كثيرا، وشكرا جزيلا أولا وآخرا، كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للمركز الجامعي الصالحي أحمد، وما حوى من أساتذة وإداريين، وطلاب، وأخص قسم اللغة العربية وآدابها بهذا الشكر والتقدير.

المدخل

أدب النكبة:

أدب النكبات هو صوت من أصوات آداب الأمم التي تصدح بصوت عال، مليئة بالآلام، والمعاناة، تكون جراء كوارث كبرى تصيب الأمة في مجالاتها المختلفة، السياسية، والاجتماعية، والطبيعية، وحتى الاقتصادية.

والمتتبع للمسار الأدبي يجد نفسه في مدرسة تفتح أبوابها لتُعَلِّم وتُفَهِّم من دقّ بابها أنّ الحياة ليست حديقة غناء بالأزهار والقطوف الجميلة، إنما يتخلل دروبها الأشواك والصعاب، "ولو تأملت الدروب التي يسلكها الأحياء لوجدتها جميعا تؤدي إلى غاية واحدة، وتلك الغاية هي البقاء، فما سلك حي من الأحياء دربا من الدروب سعيا وراء الموت، بل طلبا للحياة"[1]، وقد صور هذه الحياة الأدب بشتى أجناسه، فكان الشعر الجاهلي ديوان العرب، يحمل آمالهم وآلامهم، وقد أصبحت اليوم الرواية والقصة البديل لهذا الفن الأدبي، فالأدب هو مرآة العصر حاملا وثيقة تاريخية، وحافظا للقيم الإنسانية، وبما أن الساحة اليوم مليئة بالنكبات فقد فرضت على الأدباء طرح قضايا نكبات الأمة، كلّ بأسلوبه وتعبيره عن الفقد والمعاناة، واستخلاص الدروس والعبر للمستقبل، إنه شاهد حي على قدرة الإنسان على التحمل، والمقاومة في وجه أصعب الظروف.

مفهومها(النكبة):

"يطلق مصطلح النكبة على كل المآسي الفردية والجماعية، وعلى الفجائع التي تصيب مظاهر الحضارة والعمران"[2]

النكبة لغة:

---

[1] ميخائيل نعيمة، دروب، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، تشرين الثاني، ص 9

[2] محمد حميدان، أدب النكبة في التراث العربي (أدب نكبات المدن ذات الأسباب الداخلية في المشرق العربي في العصر العباسي)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004، ص 14

ورد في لسان العرب في مادة (ن ك ب): "النكبة اسم مرة، من الفعل نكب.

نكب: عن الشيء، وعن الطريق، ينكُب نكْبا ونكُوبا، تنكَّب عن وجهي أي تنحّى وأعرض عني، والنكباء كل ريح، وقيل: كل ريح من الرياح الأربعة، انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال، وتحبس القطر... ونكباء الشمال باردة تأتي على الحرث والضرع، ونكباء الجنوب حارة قاتلة تتناوح فيها الأصوات."[3]

"والنكباء: المصيبة من مصائب الدهر."[4]

المعنى اللغوي دقيق وحقيقي مادي يمكن ملاحظته، وملامسته على أرض الواقع، فالريح التي تهلك المال يشعر بها الإنسان، والريح التي تأتي على الحرث هي أيضا تصيب متلقيها بالخسائر المباشرة، ومنه ينحدر المعنى الاصطلاحي، فمصائب الدهر تبكي وتحزن ويشعر مصائبها مُصابُها بالآلام الشديدة، إما جسمية أو معنوية، كما يمكنها أن تجتاح مستويات عدة، سياسية، اجتماعية، طبيعية، واقتصادية.

النكبة اصطلاحا:

النكبة مصطلح واسع الدلالة وذلك لوجوده في شتى المجالات، "فضلا عن أن مفهوم النكبة لم ينحصر بالهزيمة العسكرية، إنما اتخذ أبعادا دلالية عامة، حتى في الاقتصاد، والاجتماع، والتعليم... وصارت جملة(نحن منكوبون بكذا وكذا)–أي مبتلون ومصابون– مشهورة على كل لسان... نحن منكوبون بأزمة النفاق والادعاء، والكذب والشطارة... ومنكوبون

[3] ابن المنظور، لسان العرب، ج 1، مادة(ن ك ب)، ص 771

[4] ابن منظور، المصدر السابق، ص 772

بضياع الهوية، والخصوصية الثقافية... فالنكبات في حياتنا غدت معضلة كبرى تقلب كل شيء رأسا على عقب"[5]

تعددت استعمالات كلمة النكبة على حسب تعدد أسبابها، فمنها ما يصيب الفرد، ومنها ما يكون اجتماعيا عاما، "ومما جاء في الشأن الفردي أو الأسري:

إنّي رماني الدهرُ منه بنكبة حتى حملت من الديون ثقالا

ومما جاء في شأن الانتكاسة التي تحل بالأسرة:

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا أيادي سبا في شرقها والمغارب

قفي بالتي نهوى فقدرت بالتي إليها تناهت راجعات المصائب

وفي بيت آخر يصور نكبة أصابت أسرة بوفاة الأم:

فما الناس إلا اثنان معقور نكبة قد انصرمت، أو سالم سوف ينكب

وتأتي النكبة أحيانا للتعبير عما يمكن أن يصيب الملة أو الأمة، كما جاء في مدح أبي العتاهية للخليفة الرشيد:

إذا نكب الإسلام يوما بنكبة فهارون من بين البرية ثائره"[6]

يبقى المعنى الإجمالي للنكبة واحدا، وإن تعددت استخداماته بين العام والخاص، وقد مرت الأمة العربية بالعديد من النكبات منذ العصور الأولى، تجلت في الشعر الجاهلي حتى صارت خاصية من خصائص الشعر الجاهلي، وهي المقدمات الطللية، التي تعد نكبة فاقدي

---

[5] حسين جمعة، ملامح في الأدب المقاوم فلسطين نموذجا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص19

[6] ينظر: محمد حمدان ، أدب النكبة في التراث العربي، دمشق، 2004، ص 11- 12

الدار، وسقوط بغداد على يد التتار من أشد النكبات على الأمة، وسقوط الأندلس يبكي القلب دما، وها هي نكبة فلسطين شاهد عيان.

"لنكبة العرب العظمى في فلسطين جذور بعيدة ترجع بنا إلى فجر التاريخ الحديث للأزمة العربية، منذ تمطي العملاق الغربي في نهم مسعور، وهو يرى الرجل العثماني المريض نائما على تراث مغر، من جملته رقعة من الأرض مترامية الأطراف عامرة بخيرات تسيل اللعاب! وهذه الرقعة الغارقة في الظلام والجهل والنوم هي الوطن العربي الذي أغرى نابليون فأقبل من الغرب يحدوه الشوق إلى الفتح، ومد يده فأمسك بمصر، ومعظم فلسطين، وتهيأ لالتهام بقية الوطن العربي."[7]

ولا تزال هذه النكبة مستمرة إلى يومنا هذا، "فليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكبة البسيطة أو بالشر الهين العابر، وإنما هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ومحنة من أشد ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل، على ما فيه من محن ومآسي."[8] فعند محاولة إيجاد المعنى الحقيقي للنكبة نجدها موضحة بتفاصيلها بما حدث وما يحدث حتى اليوم في الأراضي الفلسطينية عامة، وغزة خاصة.

"لهذا كله أدركنا سببه تسمية أحداث عام 1948 م بين الصهاينة والعرب بالنكبة، إذ نكب العرب بصراعهم مع الصهاينة بمصائب كثيرة قتلا وقهرا، نفيا وتشريدا، لجوءا وصبرا، خياما وبؤسا، ومن ثم كثر التناوح والتباكي والعويل لخسارتهم."[9] هي أكبر نكبة أصابت العرب ولازلنا نتجرع آهاتها حتى اليوم، إضافة إلى ما أصاب البلدان العربية من نكبات متتالية، كسقوط العراق واجتياح ليبيا، وشتات اليمن، وتقسيم السودان، وسنوات الجمر بالجزائر الحبيبة، والفوضى العارمة في سوريا، كلها مآسي ومصائب تجرعت شعوبها المرارة حتى تقيأت دما،

---

[7] صالح الأشطر، في شعر النكبة، ط 1، مطبعة جامعة دمشق، 1960، ص 11.

[8] قسطنطين زريق، معنى النكبة، دار العلم للملايين، بيروت، 1948، ص 7.

[9] حسن جمعة، ملامح في الأدب المقاوم فلسطين نموذجا، ص 18- 19

وفي هذه النقطة الفاصلة يظهر دور الأدباء والكتاب، في تدوين وتأريخ معاناة شعوبهم، وتتجلى صورة أدب النكبة.

أدب النكبة:

أدب النكبة هو إنتاج أدبي وفني، وصرخة ألم سببها مصيبة من مصائب الدهر، تحتضنه جميع الأجناس الأدبية شعرا، ونثرا، إذ "يقصد به ذلك الأدب الصادر عن عاطفة صادقة تجاه هزيمة أو غزو همجي، أحدث إبادة جماعية في مكان ما، فقتل الآلاف، وخرب الديار والبلاد، وتسبب في ضياع الأوطان، وفقدان مساحات من الأراضي، يتناول الأحداث المؤلمة والمفجعة التي تصيب الإنسان من المجتمع، وغالبا ما تكون هذه الأحداث ذات طبيعة كارثية، أو مأساوية، مثل الحروب، والكوارث الطبيعية، والأوبئة المنتشرة، مثل مأساة كورونا، وحوادث الظلم الاجتماعي، من قبل الأنظمة العسكرية المستبدة."[10] وهذا ما حدث في العقود الأخيرة في أغلب البلدان العربية، كما أنه "أدب حدثي يتناول وقائع جرت في الزمان والمكان، ويتحدث عن أشخاص عاشوا في الزمان والمكان... حيث حدد الشعراء أيام بعض المعارك وأوقاتها، وعصورها. وتعددت الإشارات إلى الماضي والحاضر والآتي، كأزمان تحسب بالعقود والسنوات والأيام."[11]

ومن طبيعة الألم أنه يطيل العهد بصاحبه، فاليوم يمر كالسنة، من شدة الوجع، لذلك نجد أن النكبات "ولدت في نفوس الشعراء جوا من الإحباط والهزيمة"[12]، إلا أن الأديب البارع يلتزم بقضايا الأمة ويعيش مآسيها، كما يحاول إيجاد الحلول، مستخلصا العبرة والحكم من الأولين، "والجانب الحكمي في شعر النكبات سمة من السمات البارزة فيه، وإذا كان الشاعر (الحكيم) يستحضر الماضي ويصقل تجاربه ليصوغ من ذلك حكمه، فإن شعراء النكبات

---

[10] الموقع الالكتروني: www-ahewa-org

[11] محمد حمدان، أدب النكبة في التراث العربي، ص 261

[12] المرجع نفسه، ص 265

عايشوا المحن مباشرة، ويكفي أحدهم أن يمرر بصره حوله ليرى الهول والدمار والقهر وهتك الأعراض وأشلاء الأطفال"[13].

وبما أن الأديب ابن عصره، يحاكي الواقع، ويحمل في صدره شجاعة تربط بين الواقع والذات الواعية بالألم والمعاناة، كما تتطلع إلى حياة أفضل في ظل الحرية، "ومن ثم فعلاقة الأدباء والكتاب بالنكبات والأزمات التي تواجه وجودهم، وحياتهم، وهويتهم، ومقدساتهم، وثقافتهم، وتراثهم، ليست علاقة طارئة، أو جديدة، إنما هي علاقة، متجذرة في التاريخ والحياة، وهي تنطوي على رسالة خلقية وجمالية، ضد كل أشكال القمح والشر، وبخاصة إذا كانت في مواجهة المحتل الغاصب والطامع في خيرات هذه الأمة، قديما وحديثا، أي أن رسالة الأدباء والكتاب تتجاوز الفردية والذاتية."[14]

إذن، رسالة الأدباء والكتاب رسالة أخلاقية جمالية، كما أنها قومية تتعداها إلى الإنسانية، وأدب النكبات أدب جمع كل هذه الخصائص، فصار أدبا هادفا، يحمل صوتا عالميا.

[13] محمد حمدان، أدب النكبة في التراث العربي، ص 265

[14] حسين جمعة، ملامح في الأدب المقاوم، ص 9.

الفصل الأول

"أدب النكبة في القصة العربية"

عمد الكتّاب والأدباء إلى تدوين أحداث عصرهم، لأنهم النخبة المثقفة الواعية، بما يُقدّم ويؤخِّر، وما يُفرِح، وما يحزن، وما يُعلِّمُ، وينير دروب المجتمعات، في كل المجالات، السياسية، الاجتماعية، الطبيعية، وحتى الاقتصادية، كلٌّ بما جاد به قلمه من إبداع فنيّ أدبي، سواء كان شعرا، أو نثرا، والغالب على الساحة الفنية الأدبية اليوم هو العمل النثري، والقصة كونها ملاذا ورفيقا تجول بمتلقيها في رحلات لا حدود لها، لقيت النصيب الأوفر في هذه الساحة الشاسعة، فاحتضنت النكبات، كونها هي الأخرى صارت غالبة على ساحات الأوطان العربية.

تعريف القصة:

لغة:

ورد لفظ القصة في القرآن الكريم في عدة آيات، وجاءت سورة كاملة تحمل اسم سورة "قصص"، ورد في سورة يوسف:﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ٣**﴾ [يوسف: 3]، وفي سورة الأعراف:﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ١٧٦**﴾ [الأعراف: 176]، وفي سورة الكهف:﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا٦٤**﴾ [الكهف: 64]، وفي سورة هود:﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ [هود: 120]

كما جاء تعريف القصة في لسان العرب:"فعل القاص إذا قص القصص، ويقال في رأسه قصة، يعني: الجملة من الكلام، ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، والقصة: الخبر، وهو القصص والقَصص الخبر المقصوص بالفتح، والقِصَص بكسر القاف جمع القصة، التي تكتب."[15]

[15] ابن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاصي، ج 10، دار الأبحاث، الجزائر، ط 1، 2008، ص 171- 172

ووردت القصة في معجم مختار الصحاح في باب(ق ص ص): "قص أثره تتبعه، وقصصا أيضا، وكذا اقتص أثره، وتقصص... والقصة الأمر والحديث، وقد اقتص الحديث ورواه على وجهه، وقص عليه الخبر قصصا، والاسم ايضا القصص والقصصأيضا القَصص والقِصص بالكسر، جمع القصهالقصة التي تكتب."[16] اغلق المزدوجتين ابي بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصحاح اخراج دائره المعاجم لبنان 1986 صفحه 225

ويقال محهمحت الرمال القصصه ايالقصص، أي بمعنى محه الاثر فالقصهمحت الأثر، فالقصة تعني الخبر والجمله، والجملة من الكلام، كما تعني الاثرالأثر الذي يخلفه الانسان اوالإنسان، أو الحيوان، كما انأن للحوادث والعواصف مخلفات تترك آثارا عميقة.اثارا عميقه

اصطلاحا بين مزدوجتين القصه:

"القصة: عرض لفكرهلفكرة مرت بخاطر الكاتب او، أو تسجيل لصوره تاثرتلصورة تأثرت بها مخيلته او، أو بسط لعاطفهلعاطفة اختلجت في صدره فاراد ان، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها الى اذهانإلى أذهان القراء، محاولا انأن يكون اثرهاأثرها في نفوسهم مثل اثرهاأثرها في نفسه"[17] اغلق المزدوجتين محمد تيمور فن القصص مطبعه دار الهلال طبعه 2 مصر 1948 صفحه 40

كما عرفت بي بين مزدوجتينعُرّفت بـ:" وصف افعالالأفعال عبر حكايات سرديه اغلق المزدوجتين سعيد علوش معجم المصطلحات الادبيه المعاصره دار الكتاب اللبناني بيروت 1985 صفحه 180 انتقل الى السطر بين مزدوجتين القصهسردية"[18]

---

[16] أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم، لبنان، 1986، ص 225

[17] محمد تيمور، فن القصص، مطبعة دار الهلال، مصر، ط 2، 1948، ص 40

[18] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ص 180

"القصة سرد واقعي اوأو خيالي لافعالللأفعال، وقد يكون نظرا اونثرا أو شعرا، يقصد به اثارهإثارة الاهتمام والامتاع اووالإمتاع، أو تثقيف السامعين او، أو القراء اغلق المزدوجتين ابراهيم فتحي معجم المصطلحات الادبيه طبع التعاضضيه العالميه للطباعه والنشر صفاقس تونس 1986 صفحه 272 القصه القصيره"[19].

"القصة القصيرة ليست مجرد قصهقصة تقع في صفحات قلائل، بل هي لونالون من الوان الادبألوان الأدب الحديث، له خصائص ومميزات شكلية معينة"[20]. شكليه معينه اغلق المزدوجتين رشاد رشدي فن القصه القصيره مكتبه الانجلو مصريه طبعه واحد فبراير 1959 صفحه واحد

تعددت التعريفات للقصه والقصه القصيرهالقصة والقصة القصيرة، لكن لا يمكن الاختلاف في كونها فن ابداعيإبداعيا يحمل رسالة إنسانية.رساله انسانيه عنوان اخر

نكبات سياسية:سياسيه

نقف امام نافذه ادبيهأمام نافذة أدبية، تطل بنا على واحدهواحدة من احلكأحلك فترات تاريخ الجزائر العشريه، العشرية السوداء هي فتره قادمه قاتمه، وهي فترة قاتمة السواد موشحه بالاحمر القاسم زركشه الامكنه والامكنه والازمنه، موشحة بالأحمر القاتم الذي زركش الأمكنة والأزمنة، اقتحم البيوت وهجر، وهجّر الشباب وغيب الارواحوغيّب الأرواح، تركت هذه الحقبه الزمنيه حرجاالحقبة الزمنية جرحا غائرا وندوبا عميقهعميقة في جسد الامه الأمة، كما صورت هذه الالاماالآلام حكايات وقصصوقصصا جادت بها اعلام مبدعه راسمهاأقلام مبدعة، راسمة ملامح نكبهنكبة عانى منها الشعب الجزائري بكل شرائحه، ومن بين الاعمال الادبيهاالأعمال الأدبية التي كانت شاهدا على شاهد عيان على جرائم الارهاب روايهاالإرهاب رواية: تاء الخجل

---

[19] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 1986، ص 272

[20] رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 1، فبراير 1959، ص 1.

للقصه الاديبه فضيله، للقاصة الأديبة فضيلة الفاروق[21] بين مزدوجتين جزائريه تنتمي لعائله بربريه عريقه ولدت في 20 نوفمبر 1967 في عاصمه الاوراس اريس بالشرق الجزائري نقاط حذف عملت في حقل الصحافه المكتوبه والمسموعه في الجزائر من 1990 ميلادي الى 1995 وكان لها زاويه شهيره في اسبوعيه الحياه الجزائريه اثارت اكثر من ضجه اغلق المزدوجتين فضيله الفاروق تاء الخجل منتديات الإيثار صفحه 97 صفحه 98

تتحدث روايهرواية الخجل عن الماسيالمآسي والمصائب التي المتألمت بالمجتمع الجزائري، فكانت خنجرا تطعن المراهاالمرأة في الصميم، كونها الركيز الاساسيه للاسره الجزائريهالركيزة الأساسية للأسرة الجزائرية، فقد عانت الامرينالأمرّين من مجتمع مجحف بعاداته، وتقاليده الباليه المشتقات من جهرالبالية، المستقاة من جهل فرضه الاستثمارالاستدمار الفرنسي وامي، وأمية يصعب محو اثارها من جهةآثارها من جهة، ومن جهه اخرى عشريهجهة أخرى عشرية سوداء بطلها ارهاب اعمىإرهاب أعمى، وصمت قاتل.

دارت وقائع الروايهالرواية حول الفتاه خالده بطل من ابطال الاوراسالفتاة خالدة، بطلة من أبطال الأوراس، ترفض سيطره العائله الذكوريهسيطرة العائلة الذكورية بعاداتها وتقاليدها المتوارثهالمتوارثة، لها روح متمرده طوافه تواقهمتمردة، تواقة للتغيير، تروي الروائيه فضيلهالروائية فضيلة الفاروق بضمير المتكلم على لساني خالدهلسان خالدة، تقول: "كنت ذكيه وناجحه في المدرسهذكية وناجحة في المدرسة مثل ذكور العائله هامش نفس المصدر صفحه 21 بين قوسين عائلهاالعائلة"[22]، (عائلة بني مقران)، كما كانت ترفض سيطرهسيطرة الذكور على الاناثالإناث، وتتمنى لو كانت صبيا لما ترى ماله من من حضوه وحريهما له من حظوة

[21] "جزائرية تنتمي لعائلة بربرية عريقة، ولدت في 20 نوفمبر 1967، في عاصمة الأوراس أريس بالشرق الجزائري ... عملت في حقل الصحافة المكتوبة والمسموعة في الجزائر من 1990 م إلى 1995، وكان لها زاوية شهيرة في أسبوعية الحياة الجزائرية، أثارت أكثر من ضجة." فضيلة الفاروق، تاء الخجل، منتديات الإيثار، ص 97 – 98

[22] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 21

وحرية، تقول: "كثيرا ما تمنيت ان اكونأن أكون صبيا هامش نفس المصدر صفحه 28 مفاضله"[23]، مفاضلة تترك اثراأثرا نفسيا قاسيا في نفس الفتاه احبتالفتاة، أحبت هذه الاخيرهاالأخيرة شابا، رجلا اسمه: نصر الدين، وهي في سن 14، تقول: "عشت اجمل قصهأجمل قصة حب في ذلك الزمن الباكر"[24]. نفس المصدر صفحه 12

وجدت في ذلك الجدل في ذلكالحب المتنفس الوحيد الذي يشعرها بالسعادهبالسعادة، ويؤكد لها انأن هناك رجالا صادقين انقياء أنقياء، "لم يكن فيه خبث الرجال او، أو خبث (بني مقران بين مزدوجتين نفس المصدر صفحه 28)"[25]، على الرغم من قوهقوة شخصيتها وتمردها على الاعرافالأعراف والتقاليد الا انها قبلت وكبتت بين قوسين اعترف، إلا أنها كُبّلَت وكُبِتَت، "أعترف لك اليوم انيأنني كنت هشههشة حتى العظم وانني، وأنني هربت منك بعد ان اعيان الخجل لمواجههأن أعياني الخجل لمواجهة الجميع بحبك"[26]. المصدر السابق تاء الخجل صفحه 34

يفقدها الخجل فرحتها، تنجح خالد في شهادهخالدة في شهادة البكالوريا لتنوي التوجه الى الجامعه لاتماماإلى الجامعة لإتمام دراستها الا ان، إلا أن الحشريين ذوي الافكار الباليهاالأفكار البالية يتنططون في كل وقت وحين بين متزوجتين، "دخل العم ابوأبو بكر على والدوالدي غاضبا اختل، اختلى معه في غرفهغرفة الضيوف، وقال له: كل بنات الجامعهالجامعة يعدن حبالاحبالى، فهل ستنتظر حتى تاتيكتأتيك بالعار نفس المصدر صفحه 28 الا ان خالد؟!"[27] إلا أن خالدة لها سند متين تحمي به اكتافهاأكتافها، وتزود به افكارها امدها بقوهأفكارها، أمدها

[23] المرجع نفسه، ص 28

[24] المرجع نفسه، ص 12

[25] المرجع نفسه، ص 28

[26] المرجع نفسه، ص 34

[27] المرجع نفسه، ص 28

بقوة تسلق الجبال ورفض العيش بين ~~الحظ~~ الحفر، تقول: "كانت في ~~يد قوه واحد~~ يدي قوة واحدة، لا يمكن أن تقهر، حب والدي للعلم"[28].

تحمل حقيبتها وتتوجه إلى مدينة الجسور المعلقة" قسنطينة"، توجه الكلام إلى نصر الدين قائلة: "كيف غادرنا بستان الأشواك بعد البكالوريا؟ سافرت إلى العاصمة، وأنا سافرت إلى قسنطينة... لم أكن أعلم يومها أنني سلمت نفسي لقدر تختلف دروبه عن دربك"[29].

تنتقل خالدة من مدينة أريس بجبال الأوراس، وحضن العائلة المليء بالمشاحنات، ومحاولات فرض الذات ورفض العادات، إلى ألم وقهر من نوع آخر، بعدما كان صراعها فكريا أصبح صراعا دمويا،" كان الليل في أوله، لكن الخارج كان يغط في نوم عميق، فالخوف روض الناس على نمط حياة جديد، أسدل الستائر باكرا، وأتحاشى رؤية الفزع الذي يملأ الشوارع كل مساء"[30]، هو فزع الجماعات الإرهابية الذين عجت بهم البلاد، فأكثروا فيها الفساد، تعاني خالدة من مشاهد الموت المروعة، خاصة بعدما توجهت إلى ميدان العمل، بصفتها صحفية إعلامية، تقول: انغمست في العمل الإعلامي، انضممت إلى جريدة الرأي الآخر المعارضة، والتي كانت مزيجا من الإسلاميين والديمقراطيين والعلمانيين، كنا نتفق عموما رغم أن البعض لا يصافح النساء، والبعض يصافحهن، كان ذلك قبل أن تمتد الخلافات السياسية بين الأحزاب، فتصل إلينا لنصبح مؤسسة من الأعداء، تتحول مكاتبنا إلى مواقع حربية"[31].

العنف والصراع يلحقان بخالدة حتى داخل أسوار مؤسسة العمل، هي فوضى عارمة انعكست سلبيتها على المكان والأشخاص، فلكل شخص اتجاهه وتوجهه، فيرفض الرأي الآخر ويتحول ميدان العمل إلى ساحة صراع.

---

[28] المرجع نفسه، ص 29

[29] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 12

[30] المرجع نفسه، ص 33

[31] المرجع نفسه، ص 34

مشاهد الموت والقتل والدمار صارت صورة الحياة اليومية لخالدة، والمرأه الجزائرية سنة 1994، التي شهدت اغتيال 151 امرأة، واختطاف 12 امرأة من وسط الريف المعدوم، ثم ابتدأت من عام 1995، أصبح الخطف والاغتصاب استراتيجية حربية، إذ أعلنت الجماعات الإرهابية المسلحة(GIA) في بيانها رقم 28 الصادر في 30 أبريل أنها "قد وسعت دائرة معركتها للانتصار للشرف بقتل نسائهم، ونساء من يحاربوننا، أينما كانوا في كل الجهات التي لم تتعرض فيها لشرف سكانها، ولم تحاكم فيها النساء... قتل أمهات وأخوات وبنات الزنادقة اللواتي يقطن تحت سقف بيوتهم، واللواتي يمنحن المأوى لهؤلاء..."[32]

صارت الجماعات الإرهابية تصرح وتعلن، وموضوع بياناتها الأمهات والنساء في ظل صمت قاتل، فلا ملجأ ولا منجى من واقع سياسي متأزم وخانق حد الموت، توضح الأرقام والإحصائيات عدد الضحايا وحالات الاغتصاب، الذي كان موضوع تحقيق وبحث خالدة في عملها: 550 حالة اغتصاب لفتيات ونساء تتراوح أعمارهن بين 14 و 40 سنة، سجلت تلك السنة.

تضاربت الأرقام بطريقة مثيرة للانتباه في حضور قانون الصمت، 1013 امرأة ضحية اغتصاب إرهابي، بين سنتي 1994 و 1997، إضافة إلى 2000 امرأة منذ سنة 1997، والبعض يقول أن العدد يفوق 5000 حالة، ولا أحد يملك الأرقام الصحيحة، إن السلطات مثل الضحايا تخضع لقانون الصمت نفسه"[33].

رغم هذه الأرقام المهولة إلا أن القانون والسلطات بقيت صامتة، والمرأة تدفع الضريبة، فلا مجتمع يرحمها ويستقبلها، ولا قانون يدافع عنها ويحفظ كرامتها المغتصبة.

---

[32] فضيله الفاروق، تاء الخجل، ص 36

[33] المرجع نفسه، ص 36

تعرفت خالدة على ضحايا اغتصاب الإرهاب الشنيع أثناء تحقيقها الصحفي، والذي من خلاله ستسلك منعرجا جديدا في حياتها، تقول: "بمجرد وقوفي أمام غرفة يمينة شدتني جثتها التي تئنّ، إذ لم أتوقع أن أجد أي واحدة منهن بذلك الوضع"[34].

كما اعترفت "راوية" بما حدث لها على أيادي المجرمين الغاصبين:" انظري... ربطوني بسلك، وفعلوا بي ما فعلوا، لا أحد منهم في قلبه رحمة"[35]، وكذلك رزيقة التي تركت رسالة للطبيب قبل انتحارها في دورة مياه المستشفى، توصي بالتبرع بكل أعضائها للمرضى المحتاجين لذلك، هي حالات اغتصاب عايشتها خالدة كانت قريبة منهن، تعرفت على تفاصيل كثيرة يندى لها الجبين، وسط زحمة الآلام والآهات.

"جاءت هذه السنوات متلاحقة لتصنع السجن الذي لم أتوقعه، سجن انفرادي داخل وطن مليء بالقضبان"[36]، إذ لم تعد أسوار العائلة هي التي تستفز طير الحرية في داخلي للهروب، صار الوطن كله مثيرا لتلك الرغبة، مثل ملايين الشباب الحالمين بالهجرة إلى حيث النوم لا توقظه الكوابيس، صرت أخطط للهروب، أريد هواء لا تملؤه رائحة الاغتصابات، تجبرك قسنطينة على الوقوف احتراما لمرور جنائزها، ولهذا ستتوقف عند مرور الجنازة الأولى، ثم الجنازة الثانية، ثم الجنازة الثالثة.

صمت الشوارع مخيف، والناس وقوف، والنعوش الخضراء تقصد بيوتها الأبدية، ها هي أيام الثورة تعود، الموتى في كل مكان، والقبور كالمقاهي يزورها الناس أكثر من مرة في اليوم."[37]

---

[34] المرجع نفسه، ص 44

[35] فضيلة الفارقق، تاء الخجل، ص 45

[36] المرجع نفسه، ص 36

[37] المرجع نفسه، ص 37

لم تجد بطلة الرواية خالدة حلا يتماشى مع طموحاتها وشخصيتها المتمردة، سوى الرحيل والهجرة، انتهت الرواية في المطار:

" كان يومي قد بدأ وانتهى

كان عمري قد بدأ وانتهى

كان كل شيء في حداد."[38]

إذن، من خلال رواية تاء الخجل يتضح مدى شناعة نكبة العشرية السوداء، والأثر العميق الذي خلفته في نفس المرأة الجزائرية خاصة، ومجتمعها عامة، كما أن الرواية تقدم شهادة واقعية لعشرية دموية، أبدعت فيها الروائية فضيلة الفاروق واضعة بصمتها الخاصة.

نكبات اجتماعية:

تغوص القصة في الواقع الاجتماعي مصورة بقلم سيال لا ينفذ حبره، يفرح ويسعد القارئ بالآمال والأماني، ويعالج الآلام والأوجاع التي تنتج جراء النكبات والأزمات، فهي تنقل ظواهر المجتمعات، وترسم ملامحها، كما تسلط الضوء على القضايا القومية والإنسانية، ومن هذه الأقلام نجد القاصة المبدعة فضيلة بهيليل[39] في مجموعتها القصصية، الموسومة "المادة 64"، تتكون هذه المجموعة من 20 قصة قصيرة، تناولت قضايا محورية من الحياة الاجتماعية، تمثلت في القيم الأخلاقية، والتهميش، والتعليم، والخيانة، والطلاق، تتعلق في جلها بالأسرة كونها ركيزة المجتمع، وتخص المرأة بالتحديد.

نلمح بعدا اجتماعيا مهما صورته القاصة في القصة الأولى من المجموعة، تتحدث فيه عن قيمة أخلاقية عالية، إن غابت فسد المجتمع، وضاع، ألا وهي الحياء، فكان عنوان القصة:

---

[38] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص 92

[39] كاتبة جزائرية، من مدينة العين الصفراء، لها كتابات إبداعية في القصة والرواية، إضافة لأعمال أكاديمية، كلها مطبوعة، تعالج في كتاباتها قضايا المرأة في المجتمع الجزائري.

"قلة حياء"، تدور أحداثها حول امرأة مثقفة حاملة لشهادة عالية، تؤهلها لكسب وظيفة، تعيلها وتحفظ كرامتها، وهي في رحلة البحث عن هذه الوظيفة تواجه واقعا لا يعترف بالثقافة، ولا بالشهادات، تقول: "جمعت ملف التوظيف، حملت قلب امراة أقوى مني، تاركة قلبي الصغير بدرج خزانتي"[40].

يحمل هذا المقبوس معالم كثيرة تظهر قسوة الحياة، التي تضطرها للخروج بحثا عن وظيفة، كما يشير إلى لين قلبها وضعفه، فتستعير قلبا قويا لمواجهة العالم الخارجي، تتوجه إلى المؤسسة التي أعلنت عن مسابقة التوظيف، سائلة عن مدير المؤسسة، وفكرها محمل بثقل التفكير حول مصير شهادتها وملف التوظيف بيدها، "سألت السكرتيرة الخاصة، فتفحصتني قبل أن ترد، ثم عادت لتدسّ أنفها داخل تلك الملفات، المدير غير موجود.

سألت بارتباك: متى يكون بالمؤسسة؟

لا أدري..

بقيت واقفة في ذهول، لتضيف وهي تشير إلى ساعتها:

لدي عمل"[41].

تعود المسكينة تجر خيبة الأمل، فليس بالأمر الهين الحصول على وظيفة في زمن قلة الحياء، فمن تطمع وتخطط للحصول على الوظيفة قد خانت قيما ومبادئ عالية، وسقطت في الرذيلة، واضعة كاميرا هاتفها تصور وتحفظ المشهد، "كان ينام متوسدا خصرها المدير... فراحت تخنق حياته المهنية والاجتماعية بها، إن فكر بخداعها كما فعل مع الغبية صباح"[42].

---

[40] فضيلة بهليل، المادة 64، دار الأمير للنشر، ط 1، 2021، ص 8

[41] فضيلة بهيليل، المادة 64، ص 9

[42] المرجع نفسه، ص 9

المشهد موثق ومحفوظ، هذه هي الشهادة التي ستحصل صاحبتها على الوظيفة، "انتفض ذات اليمين وذات الشمال، ثم لم يجد بدلا من التوقيع أسفل قائمة الفائزين بالوظيفة، وهو يرى اسمها ويقرؤه على مضض"[43].

ما زلت المسكينة صاحبة الثقافة الواسعة والشهادة العالية والقلب اللين ترتقب الإفراج عن قائمة الفائزين في المسابقة، على الرغم من الأمل الضئيل، تقول: "رحت أقرأ أسماء الفائزين الذين لا علاقة لهم بتخصص التوظيف، لم يكن اسمي حاضرا... لا قائمة استقبلته، ولا همتها نزاهته، كان بعيدا كل البعد عن معاييرهم"[44].

تتعرض المثقفة النزيهة إلى التهميش والإقصاء، وبعد قراءتها للقائمة تصاب بضحكات هستيرية، كانت نتيجة الصدمة وخيبة الأمل، "غادرتهم أحمل وجعي وخيبتي، ترافقني ضحكاتي وخلفي نباح ينهشني من هنا وهناك، لم يزدني إلا ضحكا، وهم يصيحون: كيف تضحك امرأة هكذا؟ وبكل وقاحة؟ حقا إنها قلة حياء!"[45]

في زمن المفارقات أصبح النزيه الشريف قليل حياء، والفاجر صاحب مراتب عالية، هي قصة تحاكي الواقع الاجتماعي، تحمل في طياتها نكبة أمة أصيبت في أخلاقها، يقول أحمد شوقي:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لنكبات طبيعية:

يمثل غضب الطبيعة القوة الغامضة التي لا يستطيع الإنسان مجابهتها، مهما بلغ من السلطة والقوة والعلم، فبمجرد حركة بسيطة للأرض يفقد هذا المخلوق الضعيف توازنه، ولا

---

[43] المرجع نفسه، ص 10

[44] فضيلة بهيليل، المادة 64، ص 10

[45] المرجع نفسه، ص 10

يعي يمينه من شماله، والنكبات الطبيعية حينما تلقي ظلالها على كوكب الأرض ترسم بريشة قاسية عنيفة صور مدن متهاوية، ودمار شامل، وخراب عارم، فما باليد حيلة للإنسان الضعيف.

ولأن الأدب هو مرآه تعكس ما يحدث لهذا المخلوق الهش، فلابد أن تكون هذه النكبات حاضرة في صفحات الإبداع الفني، على اختلاف أجناسه، وبما أن موضوعنا القصة، فهي أيضا حاضرة، وبكل شرف تحمل في طياتها الآلام والآمال، وملامح الفقد، وفرحة النجاة، وأقرب مثال على هذه النكبات: زلزال المغرب الأقصى، الذي حدث في 8 سبتمبر 2023، ضرب إقليم الحوز، ليصادف يوم الجمعة الساعة 11:11، حدد مركز الهزة الأرضية في قرية إغيل، بمراكش المغربية، الكل يركض بلا هدف، والوجهة مجهولة، هربا من خطر الزلزال، والفوضى العارمة هي الصورة الواضحة، وكما أشرنا سابقا أن الأدب حاضر في كل زمان ومكان، يوثق الأحداث، وها هي المجموعة القصصية "من وحي زلزال الحوز" حاضرة، تدون وتوقع في قصص قصيرة بأنامل مجموعة من الكتّاب، تحت جمع وتنسيق الشاعر القاص "عمر لوريكي".

تتكون هذه المجموعة القصصية من 16 قصة قصيرة، تحكي وتصور نكبة الزلزال، ومن ضمن القصص التي تأثرت بها قصة بعنوان: "زلزالات"، للكاتب خالد جبور، تروي هذه القصة كيف تأثرت التلميذة سمية بما حدثتهم به" أستاذة الفلسفة عن أطفال الخيام اللاجئين في شتى بقاع العالم"[46]، التفتت التلميذة بشدة حول ما سمعته عن التشرد واللجوء والخيام، لتعيرها الأستاذة مجموعة من القصص للكاتب غسان الكنفاني.

[46] عمر لوريكي، المجموعة القصصية "من وحي زلزال الحوز"، ص 15

وتقول لها: "هذا الكاتب صور اللاجئين، سكان الخيام أبلغ تصوير، طالعيه على مهل، وبعد إنهائه قولي لي رأيك فيها"[47]، قرأت سمية المجموعة القصصية بعناية واهتمام، وشد انتباهها جملة تكررت كثيرا: "إلى أن نعود".

سألت الأستاذة سمية بعد إنهائها قراءة المجموعة، وما لاحظت فيها، أجابتها بأنّ جملة "إلى أن نعود" التي بقيت راسخة في ذهنها: "هي جملة في نظري تلخص نفسية وعقلية من جرد من مسكنه، وأرضه تجريدا يغدو العيش محالا، إلا إذا استمات المرء وقاوم وجهد لكي يعود ويستعيد"[48].

نعم، هو شرح وتحليل لمعنى الجملة التي ستعيشها سمية حقيقة، لكن ليست نكبة غسان الكنفاني في سلبه أرضه، بل هي نكبة الزلزال التي سلبت سمية منزلها، واستقرارها، تصف سمية ليلة وقوع الزلزال:"كنا نياما عندما سمعنا دويّ جلمود ضخم يتدحرج في سفح جبل، فيدفع في طريقه ما يعوق تقدمه من الصخور، استيقظ أبي وناداني: سمية، سمية، ونادى أمي: فاطمة، يا فاطمة، أسمعت ما سمعت؟

ما إن بدأت أمي الجواب حتى تزلزلت الأرض من جديد، وقفنا مندهشين فدفعنا أبي يحث خطانا للخروج، خرجنا إلى البهو، ثم تركنا المنزل، وما فيه، سمعنا صياحا من كل جانب"[49]

هي نكبة أصابت القرية، الكل في الشارع، إن بقيت ملامح الشوارع، الكل في فوضى عارمة، الهرب، الجري نحو لا شيء، والظاهر أن سمية من المحظوظين، لأنها شعرت بفرحة

---

[47] المرجع نفسه، ص 15

[48] المرجع نفسه، ص 16

[49] عمر لوريكي، المجموعة القصصية "من وحي زلزال الحوز"، ص 16

النجاة هي وعائلتها، وليذهب المنزل للجحيم، مقارنة بمن يُتِّم، ومن لُطِمَ، ومَنْ فقد عقله جرّاء النكبة.

"الأرض تتحرك تحت أقدامنا، والصراخ يتزايد، والهلع شيئا فشيئا يكبر، ويكبر، حتى استبد بالأفئدة، قال أبي: إنه الزلزال، ودعا بالرحمة على من مات"[50].

بات الجميع في العراء، أو بالأحرى بات الأموات والأحياء الكل في العراء، وكانت أطول ليلة في حياة سمية، وتستمر الحياة في صباح يوم السبت، "في صباح يوم السبت، أشرقت الشمس على عادتها متألقة، لامعة، لكنها عوض أن تنير ربواتنا الجميلة، وأشجارنا البهية، والوادي ومياهه العذبة، أظهرت خرابا، ويا له من خراب، كل البيوت تهدّمت، صارت كومات حجر، وتراب.. صمت مريب عم المكان والقلوب.."[51]

إذن، هذه هي ملامح نكبة الزلزال، تخيم على الأرجاء، يرسم الكاتب منظرا بديعا يعلوه الألم والحزن، فيقول على لسان سمية: "أجول بنظري في الأرجاء، فلا أرى إلا الخراب والماء في الوادي، ما زال يجري بلا انقطاع، والعصافير تزقزق في الأشجار، نحن لم نصب بمكروه، لكن بيتنا الحبيب هدم عن آخره، فلم يعد لنا مأوى.

سألت امي أبي: ما العمل؟

فقال: إلى أن تأتي السلطات، ستأتي لا محالة قريبا لنجدتنا، الصبر، الصبر إلى أن تأتي النجدة، وفعلا جاء أبناء دوار مجاور عصر يوم السبت"[52].

---

[50] المرجع نفسه، ص 16

[51] عمر لوريكي، المجموعة القصصية "من وحي زلزال الحوز"، ص 17

[52] المرجع نفسه، ص 17

هي صورة ممزوجة بالألم، ومناظر الخراب وسط ماء عذب يجري، وزقزقة العصافير وأشجار مرتفعة نجت من السقوط، مثل ما نجت سمية وعائلتها من الموت، جميعها مشاهد تصور ما خلفه زلزال الحوز على منطقة صغيرة، شهدت المناطق الأخرى ما شهدته.

"كان هناك الكثير من الأسر وبكاء وعويل ورهبة تأخذ الأفئدة، تجمع الناس مجموعات وأخذوا يبنون كيفما اتفق أشياء تشبه الخيام، هذا مسكننا الجديد، بُنيت الخيام، ولكن أحدا لم يدخلها، كأن قوة خفية تدفع الجميع لتأمل الخراب، والتفكير فيما تحت الخراب، أقارب وحاجيات وذكريات."[53]

كل الأشياء الثمينة أصبحت تحت الركام، لتستعيد سمية ما قرأته في كتابات غسان الكنفاني، ويتطابق المشهد: جوع، تشتت، خراب، خيام، وركام. تقول سمية: "تذكرت أستاذتي والمدرسة، والكتاب، وجلت بنظري في الأرجاء، ولا أدري كيف أفلتت من شفتيّ جملة: "إلى أن نعود؟!"[54] تمتزج الصور بالمأساة والألم يعلو ويتصدر المشهد، وأدب النكبة يدوّن ويشهد.

نكبات اقتصادية:

إن الفقر من أكبر المشكلات التي تعاني منها الشعوب في الظروف الصعبة، وهو السبب الأول في مشاكل عدة، "وذلك إذا راعينا أن ظاهرة الفقر في حقيقة أمرها أم كثير من القضايا الاجتماعية، كالنقل، والسكن، والهجرة إلى خارج الوطن، من أجل العمل، فما هذه المشاكل الاجتماعية في حقيقتها إلا ثمرة من ثمرات الفقر الجاثم"[55]، فهي نتيجة عن أزمة اقتصادية، تتفاقم فيها الكثير من المعضلات وأكثر ما يوجع الإنسان ويصيبه: الجوع، جراء هذا الفقر المدقع، فهو يهدد حياة صاحبه، ويسعى هذا الأخير دائما وأبدا إلى كفاية حاجته، وسد جوعه،

---

[53] المرجع نفسه، ص 17

[54] عمر لوريكي، المجموعة القصصية "من وحي زلزال الحوز"، ص 17

[55] عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة،

وقد عالج الأدباء والكتاب هذه المشكلة في جميع الأجناس الأدبية، ومن الكتّاب الذين اشتغلوا على هذه التيمة في كتاباتهم الأديب الكاتب الطاهر وطار، ومن أعماله المجموعة القصصية "طعنات".

قد عالجت هذه المجموعة موضوع الثورة التحريرية بصفة عامة، فتغنى بأمجاد الثورة وبطولات المجاهدين والشهداء، كما صور الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري أثناء الاستدمار الفرنسي، وآثاره الوخيمة بعد الاستقلال؛ فانعدام البنية التحتية للبلاد وقلة الخبرة في التسيير، والقلوب المريضة الطامعة في السلطة، وحب المسؤولية، أدخل الشعب الجزائري في دوامة يصعب الخروج منها، فالدمار شامل، والخراب عام، وفرحة الاستقلال، وحرية البلاد لا تسمن ولا تغني من جوع، وكل هذا كان من ضمن أفكار ورؤى المحنك "الطاهر وطار"، ليطرح المشكلات، باحثا عن الحلول في قصصه ورواياته.

– القصة الأولى من المجموعة القصصية سالفة الذكر، جاءت تحت عنوان: "الطاحونة"، وقد عالجت بعدا اقتصاديا، مثّل نكبةً لشعب تغلب عليه مظاهر الأمية، تدور أحداث القصة في أنحاء ثكنة عسكرية، في جبال الأوراس الشامخة، كانت بالأمس القريب "مركزا من أهم مراكز جيش التحرير"[56]، انقطعت عنها الإمدادات فصار الجنود الذين يسكنونها يعانون العزلة والحرمان، "طفت بعدة مكاتب لكنها كانت خالية، الجنود نيام، أو على الأصح مبعثرون في الخيام، وفي البنايات الخشبية والحديدية، وتحت الأشجار، هنا وهناك... بعد صبيحة مرت ساعاتها ثقيلة ثقل الفقر، والاضطهاد، والتعسف، نحيا كما لو كنا في معتقل رهيب"،[57] فقد عادت هذه المراكز أطلالا بالية، يقف ويبكي الديار الابن البار الأصيل، ويتحاشاها اللئيم الأثيم.

---

[56] الطاهر وطار، الطعنات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 3، الجزائر، ص 2

[57] المرجع نفسه، ص 2

بجوار سكن العسكرية قرى ومداشر، اجتاح أهلها الفقر والجوع، تظهر شخصيتا الطفلين (قاقا) و(بسعو)، اللذان هما من ضحايا الثورة الكثيرين، ومن أبناء شهداء الثورة، يترددون مرارا على مطبخ الثكنة، للظفر ببعض بقايا طعام الجنود، لسد جوعهم.

يروي القاص على لسان جندي موضحا صورة الجوع، والغبن الذي لحق بالطفلين:" ...كان هناك صبيان نحيفان حافيان قذران، تغطي جسميهما أسمال بالية، لا هي بالمدنية، ولا هي بالعسكرية، تتدلى شعورهما على عيونهما، في يد كل منهما علبة طماطم كبيرة، من مخلفات جيش العدو، ثقبت وألصق فيها خيط قذر، فصارت سطلا لا يفارق أيدي الأطفال إلا حين يتمددون ليداهمهم القمل والنوم، والأحلام اللذيذة"[58].

هو وصف يوضح حالة الفقر والجوع الذي وصل إليه الأهالي في الجبال، والأرياف، أهذا هو الوضع الذي مات من أجله مليون ونصف مليون شهيد؟!

"اقتربت منهما، فبادرني أحدهما:

عم، عندك خبز؟

هذا الصغير الذكي ينظر إلى يدي الفارغتين، وإلى جيوبي الشاحبة، ويعرف أنني في الخلاء مثله، ويرى أنني ككل من هناك، أدخن العرعار، بينما جنود القوات المحلية يدخنون التبغ الأمريكي... يسألني هذا السؤال؟"[59]

تُرسم ملامح الجوع، والحلم المنشود هو "قطعة من الخبز"، يجيب الجندي على سؤال الطفل بسؤال مثله: "من أين يأتيني الخبز يا عزيزي؟، يتحدث الجندي مع الطفلين ويتعارفون، ليعود الحديث إلى ما ابتدأ به: "شيء حسن جدا، بداية طيبة هذه، ستتحسن الأمور في المستقبل القريب، ويكثر الخبز أيضا... أليس كذلك؟!

---

[58] المرجع نفسه، ص 3

[59] الطاهر وطار، الطعنات،ص 3

نعم نعم، ستتبدل الحياة تماما، لكن يقولون: أنكم سترحلون، بالأمس ارتحل الجيش الفرنسي، واليوم... غمغم الصبي، ثم أطرق يفكر كالمنكوب، وفهمت دون أن يتكلم أنه يقول متألما: ترتجلون أنتم أيضا... ومع ذلك تظن أن الحياة ستتبدل تماما، أتعني أن الخبز سينقطع؟

سيكثر الخبز... لن يتصدق عليكم به أحد، لكن ستنالونه باستحقاق"[60]

يرسم الجندي أملا أمام الصبيّين رغم أن الواقع يقول عكس ذلك! "قيل لي أن كل الأطفال الذين أراهم يتهافتون على المطبخ صباح مساء، في انتظار ما يتبقى من فضلات في صحون الجنود، أبناء الشهداء"[61]

"الخيرات مخزونة عند الأغنياء، وأبناء الشهداء يتضورون جوعا"[62]

في آخر القصة يصور القاص الطاهر وطار الوضع المأساوي، مادا يده إلى أمل في غد مشرق، يقول: "خُيّل لي وهما يبتعدان أنهما يسيران في بركة دم متشبثين بالخبز وعلى ظهريهما أكياس يحملانها إلى الطاحونة على الضفة الأخرى، ليصنعا جعجعة جديدة، ولكن بالطحين هذه المرة"[63].

هكذا كانت نهاية قصة الطاحونة للقاص الجزائري الطاهر وطار، إذ عالج فيها موضوع الفقر، وما ترتب عنه من آلام القهر، والحرمان، وموضوع الخبز، وما ينجر عنه من عواقب وخيمة.

---

[60] المرجع نفسه، ص 4

[61] المرجع نفسه، ص 4

[62] الطاهر وطار، الطعنات، ص 5

[63] المرجع نفسه، ص 7

الفصل الثاني

"نكبة دمشق في المجموعة القصصية فوضى الأشياء"

تعد دمشق أيقونة البلاد العربية، وذلك لما خصها الخلاّق البديع من جمال خلّاب، أذهب العقول، وأسر القلوب، "دمشق التي حضنها الجبل الأشم الرابض بين الصخر والشجر المرتفع عن الأرض، ترفع البطولة العبقرية، الخاضع أمام السماء خضوع الإيمان الصادق، دمشق التي تعانقها الغوطة الأم الرؤوم الساهرة أبدا، تصغي إلى مناجاة السواقي الهائمة في مرابع الفتنة وقهقهة الجداول المنتشية من رحيق بردى، الراكضة دائما نحو مطلع الشمس"[64].

في وصف جمال دمشق تزاحمت الأقلام، وتعددت التعابير، يقول ياقوت الحموي في هذا الشأن: "البلدة المشهورة، قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دَمْشَقُوا في بنائها، أي أسرعوا"[65].

وما يضفي عليها (دمشق) رونقا في البهاء والأصالة تاريخها العريق، وحضارتها الضاربة جذورها عمق الأزمنة والعصور، "قال أهل السير سميت دمشق بدماشق بن قاني بن

---

[64] علي الطنطاوي، دمشق صور.. من جمالها وعبر.. من نضالها، ص 7

[65] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج 2، ص 463

مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، فهذا قول ابن الكلبي، وقال في موضع آخر: ولد يقظان بن عامر سالف، وهم السلف، وهو الذي بنى قصبة دمشق، وقيل: أول من بناها بيوارسف، وقيل: بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومئة وخمسة وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون أنه سبعة آلاف سنة، وولد ابراهيم الخليل عليه السلام بعد بنائها بخمس سنين، وقيل: إن الذي بنى دمشق جيرون بن سعد بن معاذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وسماها: إرم ذات العماد، وقيل: إنه هودا عليه السلام نزل دمشق، وأسس الحائط الذي في قبلَيْ جامعها..."[66]

تعددت الروايات والأقاويل حول من بناها، لكن الكل اتفق واجتمع على أنها أقدم وأعرق بناية على وجه الأرض، تعاقب عليها الأنبياء والمرسلون، وتغنى بجمالها الكتاب والشعراء، "دمشق أقدم مدن الأرض قدما وأكبرها سنا، وأرسى في الحضارة قدما، كانت مدينة عامرة قبل أن تولد بغداد والقاهرة وباريس ولندن، وقبل أن تنشأ الأهرام وينحت من الصخر وجه أبي الهول، وبقيت مدينة عامرة بعدما مات أترابها، واندثرت منها الآثار، وفيها تراكم تراث الأعصار، وإلى أهلها اليوم انتقلت مزايا من آثار التمدن وبقايا الماضي طبقات بعضها فوق بعض، فالحضارة تجري في عروقهم من الدماء، وهم ورثتها وحاملوا رايتها، وهي فيهم طبع وسجية؛ ولقد تكون في غيرهم تطبعا وتكلفا، فأيّ مدينة جمع الله لها من جمال الفتوة وجلال الشيخوخة كالذي جمع لدمشق؟" [67]

اجتمعت على أرض دمشق قوة الشباب، والرشد، ورزانة الكبار، فوضفت بأحسن الأوصاف، "وقال المؤلف: من خصائص دمشق التي لم أر في بلد آخر مثلها: كثرة الأنهار بها، وجريان الماء في قنواتها، فقلّ أن تمر بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه، ويستقي الوارد والصادر... وهي في أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها

---

[66] المصدر نفسه، ص 463

[67] علي الطنطاوي، دمشق صور.. من جمالها وعبر.. من نضالها، ص 8

الجبال الشاهقة، وبها جبل قاسيون... وبها معاور كثيرة وكهوف وآثار الأنبياء والصالحين، لا توجد في غيرها، وبها فواكه جيدة فائقة، طيبة تحمل إلى جميع ما حولها من البلاد، من مصر إلى حران، وما يقارب ذلك، فتعم الكل، وقد وصفها الشعراء فأكثرا... وأما جامعها فهو الذي يضرب به المثل في حسنه، وجملة الأمر أنه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي دمشق مثله."[68]

جمال دمشق يصيب الأدباء بالدهشة والانبهار إلى درجة وصفهم لها بجنة النعيم، التي هي مقصد ومسعى كل إنسان في هذه المعمورة، وفي طبيعتها امتزاج للتضاريس واختلاط للفصول، "ترى في بعضها الهواء العليل البليل طوال السنة، وفي الوقت عينه تشهد حكم الصيف، فغورها على مقربة من نجدها، وجبالها كسهولها، تتعاون على جلب الخيرات إليها، والثلج لا يخلو من أعالي جبالها، صيفا، وشتاء، وماء الشقة يجلب إليها في أنابيب تسقي دورها ومصانعها، وندر في المدن الكبرى مدينة كهذه تُسقى ماء طاهرا لذيذا ماء عين الفيجة، وبهذا قلّت الأمراض الوافدة على ما كانت في الأعصار الخالية."[69]

إلا أن جمالها الفاتن وطبيعتها الخلابة، وثرواتها الهائلة وخيراتها الكثيرة لا يمنع المصائب والنكبات عنها، فربما كل هذه المحاسن تكون سببا في نكباتها، خاصة إذا كانت النكبة سياسية، سببها مستدمر غاشم وطماع أثيم.

"وكان شأن دمشق في النكبات شأن العواصم الكبرى؛ إذا اضطرب حبل الأمن في البلاد المجاورة لها، ولا سيما في البوادي والأقاليم أو تنافس الرؤساء، وكان أكثرهم أشبه بعصابات لصوص، تصاب بأذى كبير فتقف تجارتها، وتضعف زراعتها، ويجوع فقيرها، بل يزيد فقراؤها، لأن كل بائقة تنال الأقاليم المجاورة تحفز المنكوبين من أهلها على الاعتصام بدمشق، وما عرفت هذه المدينة طعم السعادة في أكثر أيام الرومان."[70]

---

[68] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 465

[69] محمد كرد علي، دمشق مدينه السحر والشعر، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، 2013، ص 9

[70] المرجع نفسه، ص 11

هذه أحوال مزرية في حال وضعت النكبة أوزارها في البلاد المجاورة، فما هو الوضع إذا كانت النكبة في عقر دارها، والعدو المستبد هو حامي الحمى، الأسد المفترس؟!

لا يمكننا تجاوز الأسماء التي أطلقت على دمشق، فقد تعددت، "دمشق بكسر الدال، وفتح الميم، وإسكان الشين: اسم هذه المدينة الجميلة، مدينة السحر والشعر... ومعناها الأرض المزهرة، أو الحديقة الغناء، وأطلق الآراميون عليها اسم "درمسق"، والسريان "درمسوق"، وأهل لغة التلموذ "درمسقين"، وقالوا إرم ذات العماد التي وردت في القرآن الكريم هي دمشق بعينها، ومعنى إرم: العالية، أو السهل المرتفع نحو ألفي قدم عن مساواة البحر، وقد وردت في التوراة عدة أسماء مضافة إلى إرم.

وأطلقوا اسم "جلّق" بكسر اوله وثانيه وتشديده، على مدينة دمشق، وقد ورد هذا الاسم في الشعر القديم، ومنه في شعر حسان:

لله درّ عصابة ناد متهم يوما بجلّق في الزمان الأول

وقيل: جلّق، اسم لكورة غوطة دمشق كلها، وقيل: غير ذلك، ويكاد الإجماع على أن جلّق هي دمشق، وسموا دمشق جّلق الخضراء، والغوطة، وذات العماد، ولقبت بالفيحاء، والفيحاء: الواسعة من الدور والرياض، وسماها بعضهم: بجيرون، وسماه آخرون بالعذراء"[71].

وكلها أسماء دلالاتها الحسن والبهاء، اشتهرت أيضا بوجود زهرة الياسمين على أرضها، تزين الشوارع والحارات، حتى أصبحت رمزا دلاليا في الأدب لكثرة تغنّي الشعراء والأدباء بها، "حملت شجيرة الياسمين قيمة خاصة لدى جميع السوريين، انتشرت في حدائق مدنهم.. وتدلّت

[71] محمد كرد علي، دمشق مدينة السحر والشعر، ص 8

من شرفات منازلهم.. وافترشت جدر بيوتهم القديمة، لتتحول إلى رمز ارتبط بتاريخ الشام.. فحملته دمشق ليعطيها لقبا آخر من ألقابها الخالدة: "مدينة الياسمين""[72]

كانت زهرة الياسمين ملهمة، وما تزال إلى يومنا هذا، عنون بها العديد من الكتاب والشعراء أعمالهم من دواووين شعرية، ومجموعات قصصية، وغيرها من الإبداع الفني، فكانت شامة تزين هذا الإبداع، وتلفت الأنظار، وتجلب القراء والمستمعين، والمشاهدين، منها:

"مجموعة قصصية بعنوان: موسم الهجرة إلى الياسمين، لمعتز هاني.

أبجدية الياسمين، لنزار قباني، وهو ديوان شعري.

سفر الياسمين، لسمير الحسين، وهو مسلسل تلفزيوني.

دموع الياسمين، لعلي الشواتكة، وهو ديوان شعري.

بانتظار الياسمين، لسمير الحسين، وهو مسلسل تلفزيوني.

ديوان شعري بعنوان: دموع الياسمين، لمحمد القاطوف.

ديوان شعري آخر بعنوان: سيدة الياسمين، لمحمد محضار"[73]، والقائمة طويلة في هذا الاسم اللامع والمؤثر.

لهذه الزهرة تأثير عميق في النفس، فاسمها يبعث الأمل، ويرفض اليأس، وعبقها يخترق الحدود، ويشعر بقرب المكان، ولو كان بعيدا، ودفئ الزمان، ولو كان باردا.

نكبة دمشق الأولى في شعر أحمد شوقي:

---

[72] سمير ميخائيل نصير، ليس صدفة... أن عشق الياسمين دمشق (مقال)، 10 11 2019، نفحات القلم، http:/pem-5y.com

[73] مجد الدين سعودي المغرب، حسن السوسي في ديوانه الشعري روح الياسمين، موقع الكتروني: Zahratalibdaewalbikr.com

أنجبت الأمة العربية عمالقة في الفن والأدب، خلدوا التاريخ وخلدتهم إبداعاتهم، ومن بينهم أمير الشعراء أحمد شوقي، وهو الغني عن التعريف، ومن عادة أميرنا الإبداع، وها هي رائعة من روائعه الأدبية التي أبدع في نسجها، فجاءت مزركشة، امتزجت فيها مشاعر القومية بالالتزام، هدفها العام الدفاع عن القيم والمبادئ والسعي نحو التغيير والإصلاح، العاطفة الغالبة عليها الحزن العميق، والغضب الشديد، والأمل بفجر قريب، والفخر بالتاريخ المجيد، كلها مشاعر جياشة، تمخضت في صدر الأمير، فأنجب ابنة بارة، ما تزال تحمل الرسالة إلى يومنا هذا، وهي قصيدة سماها" نكبة دمشق"، ألقاها أحمد شوقي "في سور الأربكية، عام 1926، في مناسبه خصصت لمساعدة أهل سوريا، بعدما قصفت أرضهم، ودمرت، فأبدع قصيدته نكبة دمشق، التي تجلت فيها أحاسيسه صادقة جياشة، مترابطة المعاني، قوية السبك دون تكلف فيه، جميلة، معبرة، فائضة بالأساليب الفنية البلاغية، جامعة بين الخبر والإنشاء، خاطب فيها التاريخ والجغرافيا، وتسائل عن وقع النكبة على بردى، فكيف لأم أنجبت الأبطال أن تصبح عقيما؟ موصلا صوته للعالم."[74]

خلدت هذه القصيدة الأحداث الدامية التي وقعت في أرض العروبة دمشق، "وهي زاخرة بالمعاني الوطنية القومية، تستشف من خلالها الشخصية الحقيقية لأمير الشعراء وهمّه القومي والوطني، فوطنه الذي حمله بقلبه جرحا ودمعة، بكى لبكائه، وحزن لمصابه، فاستحق لقب أمير الشعراء، لأنه أمير الكلمات وراعي المعاني، وكذلك تعتبر قصيدة "نكبة دمشق" وثيقة تاريخية حقيقية، تجسد من خلالها تاريخ سوريا، وتنقله نقلا أمينا بماضها المشرف، وإسفاف الفرنسيين، كما صور شجاعة أبنائها وقوتهم"[75].

---

[74] سلطان سعيد مربع أبو دبيل، البناء الفني والأساليب البلاغية في قصيدة نكبة دمشق لأحمد شوقي، (مقال)، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأمير سلطان الأهلية، السعودية، مجلد 62، العدد الثاني، 2023، ص 16

[75] المرجع نفسه، ص 16

صورت القصيدة مدى الفوضى والدمار الذي خلفه العدو الفرنسي، فحملت ملامح الغبن والقهر، كما حملت روح المساندة، ورفع الهمم، لمواجهة العدو، والمضي نحو الحرية، فدعا شوقي الشعب السوري إلى رصّ الصفوف، والتضحية.

قصيدة نكبة دمشق:

سلامٌ من صَبا (بَرَدَى) أَرقُّ ... ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ

ومعذِرة اليَرَاعةِ والقوافي ... جلالُ الرُّزْءِ عن وَصْفٍ يَدِقُّ

وذكرى عن خواطرِها لقلبي ... إليكِ تلفُّتٌ أَبدًا وخَفْقُ

وبي مما رَمَتْكِ بهِ الليالي ... جراحاتٌ لها في القلب عُمْقُ

دخلتكِ والأَصيلُ له ائتلاقٌ ... ووجهُك ضاحكُ القسماتِ طَلْقُ

وتحتَ جِنانِك الأَنهارُ تجري ... ومِلْءُ رُباك أَوراقٌ ووُرْقُ

وحولي فتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لهم في الفضلِ غاياتٌ وسَبْقُ

تكادُ لروعةِ الأَحداثِ فيها ... تُخالُ من الخُرافةِ وَهْي صِدْقُ

وقيل: معالمُ التاريخ دُكَّت ... وقيل: أَصابها تلفٌ وحَرقُ

أَلستِ – دِمَشقُ – للإِسلام ظِئْرًا ... ومُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقُّ؟

صلاَحُ الدين; تاجُك لم يُجَمَّل ... ولم يُوسَم بأَزين منه فَرْقُ

وكلُّ حضارةٍ في الأَرض طالتْ ... لها من سَرْحِكِ العُلْوِيّ عِرْقُ

سماؤكِ من حُلَى الماضي كتابٌ ... وأَرضُك من حلى التاريخ رقُّ

بنيْتِ الدولةَ الكبرى ومُلْكًا ... غبارُ حضارتَيْه لا يُشَقُّ

له بالشامِ أَعلامٌ وعُرْسٌ ... بشائرُه بأَندلُسٍ تدَقُّ

رباعُ الخلدِ – وَيْحَكِ – ما دَهاه؟ ... أَحقٌّ أَنها دَرَستْ؟ أَحَقُّ؟

وهل غُرَفُ الجِنانِ مُنضَّداتٌ؟ ... وهل لنعيمهن كأَمِس نَسْقُ؟

بَرزْنَ وفي نواحي الأَيْكِ نارٌ ... وخَلفَ الأَيكِ أَفراخٌ تُزَقُّ

بنـى سـورِيَّةَ، اطَّرِحوا الأَمـاني ... وأَلْقُـوا عنكـمُ الأَحـلامَ، أَلْقُوا

فمِـنْ خُـدَعِ السياسـة أَن تُغَرُّوا ... بأَلقـاب الإِمـارةِ وهْـيَ رِقُّ

وقفتـم بيـن مـوتٍ أَو حيـاةٍ ... فـإِن رمْتم نعيـمَ الدهر فاشْقُوا

وللأَوطـانِ فـي دَمِ كـلِّ حُـرٍّ ... يَـدٌ سـلفتْ وديْـنٌ مُسـتحِقُّ

ومـن يَسـقي ويَشـربُ بالمنايـا ... إِذا الأَحـرارُ لـم يُسقَوا ويَسقُو؟

ففـي القتـلى لأَجيـالٍ حيـاةٌ ... وفـي الأَسْرَى فِدًى لهمو وعِتْقُ

وللحريـةِ الحـمراءِ بـابٌ ... بكـلِّ يَـدٍ مُضَرَّجَـةٍ يُـدَقُّ

جـزاكم ذو الجـلالِ بنـى دِمَشقٍ ... وعـزُّ الشـرقِ أَوَّلُـهُ دِمَشْـقُ[76]

هي قصيدة من أجود ما جاد به علم من أعلام الأدب العربي، مضى على انتشارها قرابة قرن من الزمن، ولا يزال صداها يدوي في الأفق، تجمع مشاعرها وأفكارها بين الماضي والحاضر الأليم، الذي ألحق بدمشق نكبة أخرى، فما أشبه الأمس البعيد باليوم القريب.

الوضع العام في سوريا:

شهدت المنطقة العربية خلال العشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين اجتياحات عارمة، انطلقت شرارتها الأولى في تونس، لتشمل عدة دول عربية، خرج الشعب العربي في مظاهرات سلمية بحثا عن الإصلاح، رافضا للفساد، مسميا هذا الوضع بالربيع العربي، شكل هذا الأخير منعرجا حاسما في كل مجالات الحياة لهذا الشعب الأبي، "لا يمكن فصل الثورة السورية عن المناخ الثوري العربي الذي ساد المنطقة العربية بنجاح الثورتين التونسية والمصرية، ولا يمكن تحليلها خارج سياقاته، هذا هو العامل الرئيس المباشر في نشوب الثورة، إذ كانت أسباب الثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمكن تعدادها قائمة منذ عقود...

[76] ينظر: أحمد شوقي، شوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 1-2، 2001، ص ص 74- 75

إنه عامل المرحلة التاريخية وارتباط الشعب السوري الثقافي–السياسي، وربما الوجداني بما يجري في المنطقة العربية"[77].

وما هذا إلا دليل قاطع على ارتباط الشعوب العربية ببعضها البعض، وعمق العلاقة فيما بينها، فإن لم تتحقق الوحدة العربية السياسية، فهي في القلوب والعقول تجري مجرى الدم في العروق، فهي شعوب تناشد الحرية وترفض العبودية.

بدأت شرارة الثورة السورية في مدينة "درعا"، بعد "كتابة شعارات على الجدر، مثل: إجاك الدور يا دكتور، والله سورية حرية وبس، والشعب يريد إسقاط النظام"[78].

كان ثمن هذه العبارات باهضا، راح ضحيته العديد من الأرواح، حيث "شنّت قوات الأمن في كثير من محافظات سوريا حملات اعتقالات ضد من يشتبه في مشاركته في حملة شعارات الجدران، كان من بين معتقلين 15 شخصا من درعا، وأغلبه من الأطفال دون 15 سنة، وجاءت قضية أطفال درعا وشعارات الجدران التي أصبحت فيما بعد المثير المباشر لاحتجاجات درعا... حصلت حوادث إهانة وتعذيب، وحتى جرائم قتل، ارتكبتها قوات الأمن"[79].

لم يكن هذا فحسب العمل الوحيد في تأجيج الثورة السورية، وتحول المظاهرات والاحتجاجات السلمية إلى يوميات دموية، "بالطبع توجد عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية ساهمت في إذكاء الاحتجاجات بعد انطلاقتها، مثل: التهميش، والفقر، وغياب الخطط

---

[77] عزمي بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، محاولة في التاريخ الراهن، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ص 23

[78] المرجع نفسه، ص 81

[79] عزمي بشارة، سورية: درب الآلام نحو الحرية، محاولة في التاريخ الراهن، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ص ص 82– 83

التنموية"[80]، وما هي إلا إرهاصات للثورة عارمة، شملت البلاد لتدوم حتى نهاية 2024، دامت قرابة 14 سنة.

"الثورة السورية ثورة مجيدة بكل معاني الكلمة، تجسدت بخروج الشعب مدافعا عن كرامته وحريته وصموده التاريخي أمام قمع غير مسبوق، وصل حد موت الآلاف تحت التعذيب، وبلغ إلى درجة قصف شعب بالطائرات"[81].

جسدت ثورة الشعب السوري جوانب عدة منها الأخلاقية، والإنسانية، والتضحيات الجسيمة، والبحث عن الكرامة والحرية.

التعريف بالمجموعة القصصية "فوضى الأشياء":

هي مجموعة من القصص القصيرة للكاتبة السورية زرياف عبد القادر المقداد، تتكون من ستة عشر قصة قصيرة، صدرت عن مؤسسة ميسون للثقافة والترجمة، في طبعتها الأولى من شهر أغسطس عام 2024، بها 100 صفحة.

هي مجموعة قصصية جديدة جدا، إذ لم يمض عام على خروجها للقارئ، جاءت في حلة بهية، بلون بنفسجي، يبعث الأمل والسرور بمجرد النظر إلى الغلاف المزخرف برسومات لمفاتيح موسيقية، تترنم على سطحه مقدّمةً انطباعا إيجابيا، ملؤه السعادة والفرح، وهذا كله مناقض لمحتوى القصص التي تملأ المتن، فأغلبها معاناة وقهر، ودمار وجوع، وبرد وبكاء.

- **القصة الأولى: "الأطفال ينامون في البرد"**

[80] المرجع نفسه، ص 83

[81] المرجع نفسه، ص 610

تصور القاصة مشهدا باردا يزينه بياض الثلج، فتقول: "استوطن الفزع قلبي، وأنا أرمق بياض الثلج، وأشعر بقسوة كراته فوق النيام في العراء"[82].

فإذا كان بياض الثلج يحمل في دلالاته الفرح والسرور لما له من منافع للناس، فقد أصبح يحمل الفزع والمعاناة في قصصها(زرياف) هذه، لما طال الأطفال من برد وحرمان وعراء، فهنا نجد مفارقة عجيبة تحمل المتلقي بدهشة ومتعة لمتابعة القراءة.

تستخدم الكاتبة ضمير الأنا، فهي شخصية محورية في القصة، وهذا دليل على أن كتاباتها مستوحاة من تجربة شخصية مرتبطة بما حدث في سوريا، وفي الثورات العربية، فهي صور قاسية، ومعاناة حقيقية حدثت بالفعل، تمثل دور الراوي المتكلم، تسرد القصة، بعدما صورت المشهد الأول لمجموعة من النسوة يسعين جاهدات في البحث عن أولادهن، بل عن جثث أولادهن.

تقول الراوية: "في سابقة لم تشهد لها مدينتي استنفرت أم أحمد وأم أيهم وأم حمزة وأم عامر وأم... بدفن أولادهن بعد أن استلمن هوياتهم..."[83]

تعددت أسماء الأولاد بين أحمد وحمزة وعامر.. وكلهم اجتمعوا تحت عاطفة الأم، فهذا يعني أن الوجع واحد بالنسبة للأمهات، والتكرار دليل على طول القائمة، وتراكم الفقد، واتساع الألم، تتوجه الأمهات نحو مكاتب استلام باب المفقودين الموجودين في أطراف المدينة، يتقدمن على عجل، امرأة تلو الأخرى تجاه الموظف، "تقدمت أم حمزة، وقالت: أنا أم طارق، كان قد أصيب ببندقية أحدكم، وأعتقد أن دمه امتزج مع دم إخوته فوق الجسر.. دهش الرجل، فالمرأة إما تتكلم ببلادة، أو هي قنبلة موقوتة.

فقال بحذر: ولكن، يا امرأة، بيدك هوية حمزة، هل جننت؟

---

[82] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، مجموعة قصصية، دار ميسلون ط 1، 2024، ص 9

[83] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 10

لم تجبه المرأة، بل أزاحت مكانا في الفضاء للمرأة التالية، التي تقدمت قائلة: أنا أم حسين، كان عمره 14 عاما حين اعتقلوه، أريد أن أعطيه بطاقة الامتحان، لقد حددوا امتحان الشهادة الإعدادية له في المدرسة القريبة من الجسر، خذ أعطه معطفه، لقد نسيه قبل أن يخرج!"[84]

هي مأساة جماعية، كلها أصوات تمثل صوت المرأة المنكوبة، التي فقدت فلذات كبدها، في خضم الصراع، وقهر السلطة المتغطرسة، وما دهشة الموظف في رده إلا دليل على هشاشة النظام، وخوفه من القوة الكامنة في عاطفة الأمهات، وأنه على باطل يخشى من الضعيف قبل القوي.

- **القصة الثانية: " حلم لا ينام"**

عنوان يحمل دلالة عميقة، يرفض صاحب الحلم الاستسلام والركود مهما كان الواقع صعبا وعنيفا؛ فلا يمكن للحلم أن ينطفئ، بل يتشبث بحبال الأمل والعمل والنشاط، رافضا النوم والكسل والموت، رغم واقع الموت والقبور الذي فرض على الجميع.

"في عتمة الليل... عندما يبدأ الألم حكاياته عن النهار، وتسرد الأمهات حزنهن بالبكاء صمتا، يجلس الشهداء فوق وجوه مقابرهم يمسحون برفق دموعهن النازفة، يقصون حكايات الجدات على الأمهات اللواتي بتن صغيرات كزغب القطا، وينامون برفق فوق سواعدهن المضناة تضرعا إلى الله، حتى إذا جنت الظلمة رجع كل واحد منهم راكعا في قبره."[85]

يحمل النص طابعا شعريا معجمه "الألم والأسى"، فنجد الكلمات الدالة على ذلك: عتمة، الليل، الألم، حزنهن، البكاء، الشهداء، مقابر؛ فتمتاز كل هذه الأحزان لتصور واقعا مرا يأبى

---

[84] المرجع نفسه، ص 10

[85] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 13

الحلم الجميل أن ينام فيه، "يقتحم رجال الظلمة أكلة النار والليل والمقابر، يحاولون التقاطهم في مقابرهم، لكن النور يبهرهم، فتسقط عصيّهم وبنادقهم في لجة الضوء الصارخ."[86]

للقاصة لغة شعرية ورمزية بالغة، لدرجة التيهان في معاني نصوصها، هذا النص يصور صراعا بين قوة الظلم، وهم رجال الظلمة، وأصحاب الحلم الذي لا ينام وهم النور الذي يسقط العصي والبنادق، والنور بمعنى الوعي والعلم لمواجهة الأعداء.

"أطفال بعمر الورد، وقد انحنى الورد خجلا من وردهم يحترقون ثم تخضر المقبرة تموزا آخر يعيد للأرض وجهها، وللماء لونه"[87]

شاعرية بالغة في لغة القاصة، تصف براءة الطفولة وقسوة الواقع، ينحني الورد خجلا، عبارة قوية تلامس القلب والفؤاد.

قصة: "فوضى الأشياء"

لهذا العنوان دلالة كبيرة ترمز لما يحدث أو حدث في الأوطان العربية من ثورات دامية، ويقصد بها الربيع العربي الذي أشرنا إليه سابقا.

الفوضى تعني اختلال النظام الطبيعي، والعادي الذي يضبط الحياة الفردية، أو الجماعية، وهنا تشير القاصة إلى الفوضى العارمة التي تعصف بالجميع، فيختلط الحابل بالنابل، ولا يفقه العاقل شيئا في الواقع الذي يعاني من العنف والقهر والحروب، هو واقع فوضوي.

ويمكن للفوضى أن تُخلّ بالإنسان ذاته، فتخلط في صدره المشاعر بين فرح وحزن، وألم وأمل وغيرها من المشاعر المتناقضة، تقول القاصة زرياف في قصتها "فوضى الأشياء": "هو

---

[86] المرجع نفسه، ص 13

[87] المرجع نفسه، ص 18

قلبي يتسع لجميع المدن التائهة باحثة عن ربيع ما! هو قلبي يتسع للوجع كله، ويضيق على فرحة هاربة من زاوية العتمة التي تسكن الزوايا، وصوت الرصاص الذي أصبح من عادات مدننا الصباحية، ومن طقوس الليل والنهار! وقبل أن يصبح الرصاص من عادات مدننا التائهة كنا وكانوا وكنت أصحو عندما يعلن الصبح عن بدء طقوس الكون الأولى..."[88]

تشير الكاتبة إلى المكان، فتقول: "هو قلبي"، تعتبره المكان الواسع الذي تجتمع فيه المدن التائهة، أي التفكك والانفصال الذي ضرب سوريا فشعور الألم والضياع بسبب الحروب، إذ لم يعد هذا القلب يتسع للفرحة الصغيرة رغم اتساعه للآلام والمعاناة.

"أنا الأعمى الذي يرى كل شيء"[89]، مفارقة قوية تقصد الكاتبة رؤية عميقة، تتجاوز البصر الحسي، فكيف للأعمى أن يرى؟ أم هو يرى ويتظاهر بالعمى؟! والرؤية الحقيقية تكون بالبصيرة، وليست بالبصر.

قصة: "وطن على الجدار"

وطن على الجدار من القصص الملهمة يشعر قارئها بالشغف وحب الاستزادة، ذلك لما حملته من أساليب شعرية، وصور تلامس الواقع، وتصف الأحداث، تقول: "استيقظ جسدي وقد ضاقت عليه جميع المدن النائمة، فلا قهوة ولا نافذة"[90]، تقصد في هذا غياب أدنى متطلبات الحياة التي يحتاجها الجسد، كالقهوة والنافذة، التي تحمل معنى الأمل، ثم تذهب إلى متطلبات الروح فتقول: "استيقظ قلبي واتسع لتلهو فيه جميع المدن التائهة الباحثة عن وطن ما، كانت

[88] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 19

[89] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 19

[90] المرجع نفسه، ص 55

أمي أخبرتني عنه، ويداها قد خضّبتا بالعجين وأحرق رغيف الخبز الساخن نهاية أصابعي الصغير."[91]

تتكرر عبارة "المدن التائهة" في أغلب قصص المجموعة، والتيه والضياع والبحث عن الوطن الشغل الشاغل والهم الأكبر للكاتبة وللشعب السوري المتشرد في بقاع العالم، والمحاصر داخل المدن التائهة.

"اتسع قلبي وأصبح فضفاضا أكبر من حجم الثياب التي أرتدي فارتجفت قدماي بحرية ورعونة داخل الثوب، عندما انهمر صوت الرّصاص الذي أصبح من عادات مدننا الصباحية ومن طقوس الليل والنهار"[92]، يكبر القلب ليصبح أوسع من الجسد والثياب، فتتجلى رعشة الحرية في الجسد الصغير، وتكرار عبارة: "صوت الرّصاص الذي أصبح من عادات مدننا الصباحية، ومن طقوس الليل والنهار": هي الحياة تحت الحصار، وفقدان الوطن، وفقدان الحرية حتى خبز الأم الذي كان رمزا للحب والسعادة، أصبح من الممنوع.

من ملامح النكبة الثانية في المجموعة القصصية "فوضى الأشياء":

ملامح سياسية:

يظهر القمع والتعسف السياسي جليا في جل المجموعة القصصية، فهو السبب الرئيس والمحوري في معاناة الشعب السوري، مارست السلطة والنظام الجائر جميع أشكال العنف بكبت الحريات السياسية وغيرها، كما منعت الأفراد والجماعات من التعبير عن آرائهم، وعن ممارسة أي حق من حقوقهم المشروعة.

---

[91] المرجع نفسه، ص 55

[92] المرجع نفسه، ص 55

وبما أن هذه المجموعة القصصية مستوحاة من الواقع السوري، وهذا الأخير هو الملهم الأول في إبداع القاصة زرياف المقداد، إذ تضع صورة حقيقية للقارئ من ممارسات تعسفية وحشية، حولت الإنسانية إلى حيوانية همجية، دون رحمة ولا شفقة.

تحمل القصة الأولى من المجموعة، والتي عنونت بـ:" الأطفال ينامون في البرد"[93] في طياتها العديد من الدلالات العميقة والمؤثرة، إذ يحمل العنوان في حد ذاته معاني الظلم والحرمان، فالنوم في البرد يعني غياب المأوى الآمن والدافئ، والذي هو من أبسط حقوق الأطفال، إذ هم أكثر عرضة للأذى بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم.

يعتبر البرد شيمة من شيم هذا العمل القصصي، وله معاني عديدة، تكمن في البرد الروحي، والفراغ القاسي، فلا تقف دلالته في المعنى المادي المحسوس المتعلق بالطقس وحال الجو، بل يتعلق ببرودة الأسئلة، والقلوب.

ومن الملامح السياسية الدالة على نكبة الشعب السوري نجد جملا عدة دالة على جبروت السلطة الحاكمة، وقسوتها والاستهزاء بالشعب الضعيف المغلوب والمقهور، إذ مثل هذا الشعب في القصة الأمهات الثكالى، "استنفرت أم أحمد، وأم أيهم، وأم حمزة، وأم عامر، وأم... لدفن أولادهن بعد أن استلمن هوياتهم"[94].

فالأمهات المقهورات لم يكفهن ألم الفراق، وموت فلذات أكبادهن؛ بل يتكبدن رحلة البحث عليهم، والتعرف عليهم، فالتعذيب والجوع أفقدهم ملامحهم، وترى السلطة أنها قدمت مزية في تسليم الهويات للأمهات، وأنها قامت بعمل جبار.

يمثل السلطة في هذه القصة الموظف المتسلط، والقائد الأعلى منه سلطة واستهتارا، العبارات دالة وواضحة وضوح الشمس: "صاح الموظف وقد بدت آثار سهره ليلة البارحة جلية

---

[93] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 9

[94] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 9

على وجهه، اصمتن، وقلن كلاما مفهوما"[95]، معاملة الموظف القاسية مع الأمهات الثكالى تمثل تعامل السلطة مع الشعب، إذ لا يكفيها موت الأولاد، بل تتمادى إلى الاستهزاء بمشاعر الأمهات وتوجيه الأوامر: (اصمتن، قلن، أخرجن) كلها أفعال أمر دلالتها قلة الاحترام، وانعدام التقدير.

"ثم ضحك بسخرية"[96]: أسلوب إخباري يوضح تغطرس السلطة واستهزاءها بآلام موجعة بكل مهانة واستخفاف.

"اتصل بقائده الذي رد مستهزئا: أمهات حمقاوات... كيف سيعرفن أولادهن؟ لم يبق لهم ملامح"[97]، باستهزاء القائد من مشاعر أمهات يحاولن دفن أولادهن فقط.

" قهقه الرجل ثم صاح قائلا: هل افتتحنا مضيفة هنا... تبا لكن، أخرجن"[98] ضحك، وسخرية، ثم صياح، وقهر، ثم طرد من عقر الديار، فأين المفر؟ وأي غربة هذه؟! هي غربة الذات داخل الوطن المسلوب، تسقط الهوية ويتحول الإنسان إلى ملف مجهول في أرشيف الموت.

تتجلى ملامح النكبة في ممارسات سياسية ظالمة في القصة الثانية من المجموعة القصصية، التي جاءت بعنوان "حلم لا ينام"[99]، لا تختلف عما سبقها في القصة الأولى من معاني الألم والمعاناة، إلا أن الإبداع الأدبي والتصوير الفني يلهم القارئ لمواصلة القراءة.

في صورة شعرية عميقة، تقول القاصة: "يقتحم رجال الظلمة أكلة النار والليل المقابر، يحاولون التقاطهم في مقابرهم، لكن النور يبهرهم فتسقط عصيهم وبنادقهم في لجة الضوء

---

[95] المرجع نفسه، ص 9

[96] المرجع نفسه، ص 10

[97] المرجع نفسه، ص 11

[98] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 11

[99] المرجع نفسه، ص 13

الصارخ"[100]، هو تصوير شاعري لصراع غير متكافئ بين السلطة العمياء، وشعب يعشق الحرية، فرجال الظلمة هم السلطة، والطرف الثاني هم الشهداء الذين يجلسون فوق قبورهم، وهم أطفال صغار.

"وفي عتمة الصبح حين تنام الرؤوس الكبيرة من شدة السهر وربما لا تقوى على ضوء النهار، يصحو حمزة، وبيده حلم الليل..."[101]، صار للصبح عتمة! أم هو زمن الخوارق والأساطير؟ هي سلطة طاغية، ونظام جائر، قلب النهار ليلا، والليل نهارا، والليلة ليلا آخر.

"يطل جندي مدجج بسلاحه وعيناه محميتان بنظارة سوداء خشية الضوء، يخشى قبضة حمزة!"[102]، توظيف القاصة اسم حمزة ليس اعتباطا، بل تقتنيه بذكاء لرمزيته الدينية، فهو رمز القوة والشجاعة في تاريخنا الإسلامي، حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، الملقب بلقب الأسد، فحمزة في هذه القصة يمثل قوة وشجاعة أطفال سوريا، ويحمل حلمه في يده ويأبى التفريط فيه، "فجأة يعود الصبي، ويقف أمام المرآة يتأمل وجهه، ويتحسس ما كان سينبت من شعر على وجهه... يبتسم... ثم يمشط شعره بإتقان"[103]، هي ملامح طفولية تصارع بقوة عاتية، ترفض الاستسلام أمام جنود مدججين بأسلحة فتاكة، إلا أنهم يخافون من قبضة الصبي حمزة.

تقول القاصة: "قبضة يده محكمة على شيء من أثر الرسول! يطل جندي مدجج بسلاحه، وعيناه محميتان بنظارة خشية الضوء، يخشى قبضة حمزة"[104]، هو تصوير واضح وصريح أن النظام الظالم رغم عتاده القوي إلا أنه يخاف من طفل صغير يحمل الحق والحقيقة

---

[100] المرجع نفسه، ص 13

[101] المرجع نفسه، ص 14

[102] المرجع نفسه، ص 14

[103] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 14

[104] المرجع نفسه، ص 14

في قبضة يده، ومن المشاهد التي توثق هذا تقول: "في فم الشارع فوجئ الجندي المفترس بوجه آدمي لصبيّ رجل ينحني ويلتقط شيئا ما، يصيح به: قف يا رجل، من أنت؟

يضحك حمزة، يا الله، صرت رجلا، ثم يصيح بالجندي: أنا مندس حتى العظم في فمي طعم الحرية كالعسل، وفي أصابعي صوتي، وفي وجهي لون الشمس، و... وجه أمي وقد أرهقه البكاء فوق قبري"[105].

قوة جبارة، وثقة بالغة في أطفال سوريا ترهب الجنود والقوات المسلحة، "يصعق الجندي مما سمع، ثم يطلق ببلادة ورخص آدمي ناره باتجاه الصبي، ثم يغمض عينيه حتى لا يقتله الضوء المنبعث منهما"[106].

الضوء بمعنى الحقيقة التي تنير وتقوي أطفال وشعب سوريا، في حين تقتل الجنود والظلام، "يضيء الشارع حلم هرب من عتمة الليل، وقد التقطت عدسة الكاميرا التائهة في الدم النازي في اللحظة الأخيرة لوجه حمزة"[107]، تشير القاصة إلى قتل الطفل حمزة، وقُتِل الرجل، لكن لم يمت أي منهما، فهما أرواح بلا أجساد، تعيش في كل مكان وزمان، خرجت في بداية القصة من المقابر لتعذب القتلة سرّاق الأمنيات والأحلام.

تظهر في طفلتين بريئتين براءة حمزة، اسمهما: "ندى ومدى"، نالت منهما النكبة واتضحت ملامحها في قول القاصة: "بغنج ودلال وشَعر أشعث، وبيدين مشققتين تستقبل ندى ومدى الصبح تمسحان على رأس الحمار تستقبلان النهار، وتسرع الفتاتان، وعيونهما تبحثان عن حمزة"[108].

---

[105] المرجع نفسه، ص 14

[106] المرجع نفسه، ص 15

[107] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 15

[108] المرجع نفسه، ص 16

شأنهما شأن أطفال سوريا يبحثون عن حلم يحمله حمزة في يده، تحلق فوقهم طائرات عملاقة خائفة من قبضة الصبية، "في الجانب المظلم قيل للجوارح في أعالي الخيم: هناك جسم متحرك، قوة النبض لديه هي لرجل في مقتبل العمر... اقض عليه فورا.

لحظات اشتعل الشارع، وانفجر الجسم المتحرك.

لا حمزة وصل ولا الصغيرتان أخذتا مفتاح الأمنيات!

في سراديبهم المظلمة، قالوا: تمّ القضاء على أحد حاملات الصواريخ المتحركة!"[109]

بالنسبة للسلطة والنظام الجائر صار حلم الأطفال الصغار صاروخا يجب تفجيره قبل أن يصل إلى المستقبل، تقول زرياف راسمة ملامح البلاد: "آخر التقارير ما من فائدة، كل شيء يشير إلى أن حجم الدمار غير قابل للإعمار"[110].

الوضع مأساوي خطير، لا يبشر بالأمل، فمن يعمر الدار وقد هجر أصيلها وقتل صبيانها وثكلت أمهاتها واستقوى الأسد الطاغية؟!

في آخر قصة حلم لا ينام تختم القاصة بصورة شعرية رائعة، تقول فيها: "أطفال بعمر الورد، وقد انحنى الورد خجلا من وردهم، يحترقون ثم تخضر المقبرة تموزا آخر يعيد للأرض وجهها، وللماء لونه"[111]، صورة شعرية عميقة بتقنيات فنية عالية، امتزج فيها جمال السرد ببراءة الأطفال التي فاقت جمال الورد، فانحنى الورد لما قدمه هؤلاء الأطفال من بطولات وتضحيات، فاقت أعمارهم، ليغرس الأمل وتنبت الأرض حرية، وتخضر المقبرة، وهي مفارقة، إذ أن المقبر مكان للألم والفقد، تصبح مخضرة تنبعث منها الحياة، ويصبح الألم أملا والحزن فرحا.

---

[109] المرجع نفسه، ص 16-17

[110] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 17

[111] المرجع نفسه، ص18

عنوان القصة السادسة من المجموعة القصصية "**البصاق الحار**"، تحمل هذه القصة صورا تتضح فيها كيف كانت البدايات والإرهاصات الأولى للثورة السورية، من جدران المدارس وكتابات أطفال لم يعرفوا الخوف، ورفضوا الصمت الذي عاش فيه الآباء والأجداد.

في بداية القصة تصف القاصة الرجل الطاغية الذي حكم البلاد، فظن أنه خالد فيها انتهك الحريات، وقمع الأقوام وعاث في الأرض فسادا.

"الرجل الذي وقف بوجه الشمس قبل أن تشرق، وقبل أن تذهب إلى النوم كان يزمجر غاضبا ورائي... يركض بالهراوة، وأنا أركض بلا أرجل، جسده يدب على الأرض وأطير كنسمة صيف عابرة من هواء إلى ماء"[112].

هو وصف لتسلط النظام الجائر وتحديه لإرادة شعب يبحث عن الحرية، في أرض حرة، تشير القاصة إلى الهراوة، وهي رمز للعنف المستعمل، يعيث الجلاد فوضى الرصاص، فوضى تحدث جلبة في الجسد، فتخطئ شوارع الدم مسيرها، وتنفجر على شوارع الوطن علامات ومنابر للقادمين من رحم الريح.

"إليكم يا سادة الظلام، تاريخ مولدي: صبي أغراه اللحن تحت النافذة، ففر من مدرسته وقال لأمه: أنا هنا يا أمي تحت الرصيف... ألا ترينني؟.. أرجوك، لا تقولي لم فعلت؟ إياك! لا تفعل كذا وكذا"[113].

هي انتفاضة أطفال رفضوا الظلم، وخرجوا عن المألوف، "لم تبدأ القصة بغناء تحت النوافذ، بل بدأت بجدار واقف منذ زمن، لا هو يمشي من وجوهنا، ونحن نقدر عليه... لم أخبرك يا أمي أن القصة بدأت بصوت وبصاق حار لزج، علق بثيابي المدرسية"[114].

---

[112] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص41

[113] المرجع نفسه، ص 43

[114] المرجع نفسه، ص 45

هي إشارات إلى التعذيب والإهانات القاتلة التي تجرعها أطفال درعا وسوريا ككل، هي ملامح سياسية لنكبة عانى منها السوريون، صورتها القاصة زرياف، لم تنته القصة، بل يعزم الأطفال على تنظيف ملابسهم المدرسية قبل العودة، "ولن أعود قبل أن تبرأ ثيابي المدرسية من البصاق الحار فوقها ستمضي الجنازات كلها مودعة أجسادنا تحت التراب، لكن سنبقى نعيد الغناء حتى يستقيم اللحن في أعالي الجبال."[115]

هي إشارة واضحة وقوية إلى أن الحرية لا مرجع عنها، ومواصلة المسير رغم التعذيب والتقتيل، والأخذ بالثأر من المجرم القتال.

- **قصة: "وطن على الجدار"**[116]

هو عنوان القصة الثامنة من المجموعة القصصية، استعملت فيه القاصة عبارات قوية ذات دلالة مؤثرة، ملؤها الوجع والضياع، من هذه العبارات نجد تكرارا مكثفا للمدن التائهة، والمدن النائمة، وكذلك عبارة "صوت الرصاص الذي أصبح من عادات مدننا الصباحية ومن طقوس الليل والنهار".[117]

المدن النائمة: تعني الجمود وانعدام الحياة، رغم دلالة المكان الواسعة، فهي مدن مساحتها واسعة، وسكانها كثر، إلا أنها نائمة، لا حركة ولا نشاط فيها.

المدن التائهة: لا تبتعد في الدلالة عن سابقتها، إلا أن التيه يعني الضياع وعدم وضوح الوجهة.

صوت الرصاص الذي أصبح من عادات مدننا الصباحية ومن طقوس الليل والنهار، تكررت هذه العبارة المفعمة بالمعاني في أغلب قصص المجموعة، فهل يمكن للإنسان أن

---

[115] زرياف المقداد، المرجع نفسه، ص 46

[116] المرجع نفسه، ص 55

[117] المرجع نفسه، ص 55

يعتاد الخوف والرعب وفقدان الأمان، وتوقع الموت في أي لحظة؟ نعم، صار واقعا معاشا في سوريا، وروتينا يوميا يستيقظ وينام عليه الأهالي في سوريا.

ملامح اقتصادية:

وما إن تضرب نكبة بوطن ما إلا اجتاحت جميع المجالات، تعصف به يمينا وشمالا، غير آبهة هذه النكبة اللعينة بأطفاله، ولا بشيوخه، لا بنسائه، ولا برجاله، ومن أشدها الأزمات الاقتصادية الخانقة.

من ملامح النكبة الاقتصادية في المجموعة القصصية، نجد عدة نصوص تحمل دلالات قوية، تصور واقع الشعب السوري المرير، تعلوها مظاهر الحصار، مسببة الجوع والشتات، وفقدان الكرامة، رغيف الخبز الذي أصبح تيمة في قصص زرياف المقداد.

في قصة "حلم لا ينام"، تصور القاصة في عدة عبارات رحلة البحث عن رغيف الخبز، نذكر منها: "ينحني على الأرض، ويلتقطها بحنو، ويخفيها في صدره، ربما هي لطفل غفل عنه رغيف الخبز، ونام الليل بلا خبز، وبلا حلم، رحلت الطفلتان ندى ومدى في بحثهما عن الخبز رفقة الحمار، فهو شريكهما، ورفيق الدرب، صغيران فوق عربة يجرها حمار عنيد، وربما صغيرتان كانت تضحكان وهما تشيران إلى الطائرة المحلقة في الجو، كانتا تجمعان الخبز اليابس لإطعام الحمار، وربما بقايا خبز يابس يؤنس وحشة الليل."[118]

توضح القاصة مدى الغبن والقهر الذي عاشه الشعب السوري جراء الحصار الذي فرض على البلاد، فقد كان موتا بطيئا، يقهر النفس قبل الجسد، "هكذا بتنا بلا قهوة... وامتد الحصار ليشمل الماء والكهرباء والمدرسة، وسوق الخضار... حتى الخبز الذي أطعمتني إياه

[118] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 17

أمي دخل في الممنوع، في رعونة ذلك الحصار كانت الأصابع وحدها التي تتلمس الطريق في الظلمة ليلا، تتلمس الجدر، تصل إلى الخبز والملح."[119]

إشارات قوية إلى أن الزمن هو زمن الغبن والجوع، فالنظام الجائر رد الحلال حراما، حتى الذكرى الجميلة، أصبحت من الممنوع! "حتى الخبز الذي أطعمتني إياه أمي دخل في الممنوع".

– قصة: "سبع نازفات" تتكرر فيها عبارة :الخبز والدم، وهي قصة تسرد مسرحية تصور فيها المبدعة زرياف حالات القهر والجوع، "لن تدرك الجوع إلا حين تموت جائعا، والخبز في يدك، إنه زمن الخبز والدم، حلم برغيف خبز ساخن، زيت، وزعتر، وخبز يابس، ينتظر طفلا خرج ولم يعد، والأمهات بلا خبز، ولا حليب في صدورهن العجاف"[120]، هذه القصة تتوالى فيها المشاهد، موضوعها الرئيس الغبن والقهر الذي لحق بالرجال.

"المشهد الرابع: رجال يتوارون في العتمة... قهرا، وذلا"[121] ليحذف المشهد الخامس والمشهد الأخير، تشير إليه القاصة بنقاط متتالية، وتكتب".... المشهد الأخير: لمّا يُكتَب بعد!"[122]، وهذا دليل على أنه ما زال للقصة بقية.

–في قصة: "أعطني دمك" التي تدور حول حوار بين العرافة والمرأة المهمومة، يظهر الفقر جليا في بداية القصة، "قلت ما حاجة أطفالي إلى نوارس يا امرأة؟ هم يريدون كسرة خبز... بكت ملء جفون الأرض، ثم قالت: أما عرفتم أنكم لم تعودوا تقتاتون الخبز؟ ضحكت

---

[119] المرجع نفسه، ص 55

[120] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 60

[121] المرجع نفسه، ص 60

[122] المرجع نفسه، ص 61

ملء دموع قلبي، وقلت: بل كنا نقتات الخبز والورق، أما الآن فما عدنا نقتات إلا بقايا أجسادنا وجعا ودما!"[123]

في هذه الأسطر يتضح وجع قاتل لمعاني الجوع والقهر والمعاناة، فالحوار بين المرأة التي بكت من املء حفون الأرض بكاؤها عزيز بحجم الأرض، هو صورة مجازية تحمل خيالا واسعا، فالعذاب والآلام فاقت كل حدود العقل البشري، وفي هذا المقبوس مقارنة بين الماضي والحاضر، فالماضي لم يكن الشعب السوري جائعا، بل كان يقتات الورق، وهي تعني الشعر في لغة الأدب، أي أن ثقافة الشعب السوري واسعة، وعلمهم غزير، إلا أن الحاضر ظلمهم وجوّعهم.

–قصة: "بكاء الرجال" صورت النكبة التي أكلت الأخضر واليابس، إذ لم تترك بابا إلا واقتلعته، تقول القاصة زرياف: "أن تدرك طعم الجوع ليست القصة، لكن أن تموت جائعا والخبز في يدك فذاك زمن الخبز والدم، عندها ستعرف كيف يكون بكاء الرجال في مدننا البائسة!"[124]

شعور الإنسان بالجوع هو أمر عادي، وتجربة تحدث لأي شخص، لكن المفارقة والمعضلة الكبرى هي أن يموت الإنسان جوعا في حين الخبز في يده، أي متوفر وقريب المنال، وهذا معنى ضمني تريد به القاصة توضيح ملامح الحرمان والظلم والقهر الذي تعرض له الرجال.

" الكل يركض وراء رغيف الخبز، كنت أركض كالجميع وراء لقمة العيش.

هو خبز مالح معجون بالدم، أمام الطرقات العابرة وفي شوارع أجسادنا المتعبة

---

[123] المرجع نفسه، ص 64

[124] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 81

هو خبز مر كما لم أعهد شيئا ما مرا في حياتي..

كنت أشارك الناس الشمس التي يستدفئون، والهواء الذي يتنفسون، وكلنا يركض وراء رغيف خبز، وراء لقمة العيش، ونقضمها كأمر من قضم الصوان، ومع ذلك لا أحد يعلم منا بالآخر..."[125]

حقيقة هي أن الجميع يبحث ويجري وراء لقمة العيش في كل زمان ومكان، لكن المفارقة هي أن يكون هذا الخبز مغموسا بالدم، وهذه هي صورة نكبة دمشق.

ملامح اجتماعية:

هزت المجتمع السوري نكبة تجلت ملامحها في أبعاد مختلفة، تصدعت بنيتها التحتية، أصابها تفكك ونزوح وهجرة، وعدم استقرار، وفقدان ثقة بين الأفراد والجماعات، ضربت من خلال هذه الهوية السورية، إلا أن إرادة الشعب الحر الأبي قوية، ترفض الضياع.

الأمومة المغتصبة التي تجسدت في قصة الأطفال ينامون في البرد، فالعنوان وحده يحمل دلالة الضعف والحرمان، وللبرد رمزية خاصة في كتابات القاصة زرياف المقداد، كما نلاحظ معاناة الأمهات في الحصول على جثث أولادهن، فهن يحاولن دفنهم، لا ملاعبتهم، "نقل الرجل تساؤل قائده إليهن قائلا: لقد مضى وقت طويل على موتهم، كيف ستعرفونهم؟"[126]

استهتار واستهزاء برابطة الأمومة المقدسة، التي لا يمكن لأي نظام، أو قوة جبارة أن تمحو أثرها، " لم تأبه النسوة بما سمعت، تقدمت أم أحمد بخطى ثابتة، قائلة: من رائحة حليبنا في أفواههم، فهو بعد لم يجف، ولم يمض عليه ربيع."[127]

---

[125] المرجع نفسه، ص 89

[126] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 11

[127] المرجع نفسه، ص 11

يوضح هذا المقطع قوة العلاقة بين الأم وولدها، والتي تمثلها الرابطة البيولوجية، وهي استعارهة بالغة، تمثل الرابطة الروحية، بمعانيها العميقة، فإذا محيت ملامح الأولاد الفيزيولوجية بقيت آثارهم في قلوب أمهاتهم، لا يمحيها الزمن.

صبر النسوة، والأمل الذي تمثله عبارة: "سيأتي الشتاء بعد السبع العجاف"[128]، فلا بد من الفرج بعد الضيق، ولابد لليسر بعد العسر، فهذه سنة الله في خلقه.

في مقبوس آخر من القصة الثانية، "حلم لا ينام"، تتضح ملامح النكبة على المجتمع السوري، "في عتمة الليل... عندما يبدأ الألم حكاياته عن النهار، وتصور الأمهات حزنهن بالبكاء صمتا"[129]، إشارة إلى زمن الألم في عتمة الليل، يبدأ الحديث عن ألم النهار الذي تعاني منه الأمهات في صمت، إذ أن الألم يحتاج إلى صراخ، وإخراج للآهات، إلا أن هذا ممنوع، مما يزيد من وطأة الوجع والقهر.

"يجلس الشهداء فوق وجوه مقابرهم يمسحون برفق دموعهن النازفة، يقصون حكايات الجدات على الأمهات"[130]، حضور الشهداء يصور الألم المستمر، حتى بعد الموت، فالغائبون حاضرون، وفي الغبن مجتمعون، فالألم يجمع الجميع، الأموات والأحياء.

– في قصة "فوضى الأشياء"، التي تحمل عنوان المجموعة القصصية، تدور أحداث القصة حول رجل يصارع نفسه، مما هو حقيقي وذاتي نابع من داخله، وما هو مصطنع ليس من ذاته، إنما فرضه عليه الخارج بجبروته وكذبه.

---

[128] المرجع نفسه، ص 11

[129] زرياف المقداد، فوضى الأشياء، ص 13

[130] المرجع نفسه، ص 13

يواجه المجتمع بصورة، يحاول التنمق ومجاملة المحيط الخارجي بسبب سلطة اجتماعية طاغية، "أنا الأعمى الذي يرى كل شيء حوله"[131]، هو توضيح لرؤيته وبصيرته الثاقبة، حيث يعي ويرى كل الحقائق المرة، لكن لا يستطيع البوح بها، ومواجهة العالم الخارجي، فهو أعمى لا يرى بسبب قوة وتسلط المجتمع.

"تنتقي ملابسا رسمية، إياك أن تنظر بعينك نحو القميص الأخضر، أو ذاك الأزرق السماوي الذي تحبه زوجتك، اختر من الألوان الداكن ليتناسب مع سنك، ومركزك"[132]، هي أعراف اجتماعية، تفرض على الشخص حتى لون قميصه، إذ ينظر المجتمع إلى الفرد من خلال مظهره الخارجي، لاغيا القيم الإنسانية، والعلاقات الأسرية، والاختيارات الفردية الذاتية، القصة في مجملها تحمل صراعا قويا، ومفارقات واضحة بينما هو حقيقي، وطبيعي، وما هو مزيف، ونفاق: الابتسامات، المجاملة، إخفاء الغضب بالتواضع مع الفساد.. كلها سكوت عن الحقيقة، ونفاق اجتماعي فرضته نكبة عمياء.

[131] المرجع نفسه، ص 19

[132] المرجع نفسه، ص 20

الخاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى خاتمة نجمع فيها أهم النتائج والاستنتاجات، مشكّلة زبدة العمل، بتوفيق العلي العليم:

- أدب النكبات بناء فني لصرخة الشجاعة، تشير إلى مضمون الأحداث ونتائجها وانعكاساتها.
- يدور محتوى أدب النكبات في جميع المجالات السياسية، الطبيعية، والاجتماعية,
- أدب النكبة يحمل في طياته الألم، والوجع، إثر مآسي فردية، وجماعية.
- أدب النكبة أدب يوثق ويؤرخ، كما يحفظ الذاكرة، والهوية,
- المجموعة القصصية "فوضى الأشياء"، للكاتبة السورية المبدعة زرياف المقداد نموذج بارز مستلهم من وقائع نكبة دمشق.
- أحداث المجموعة القصصية تدور في نتائج الربيع العربي، وما خلّفه من ثورات صاخبة.
- احتضنت القاصة بمجموعتها الوطن الجريح، بعاطفة جياشة، صادقة.
- امتازت القاصة بأسلوب إبداعي عال جدا، عميق الدلالات والمعاني، بلغة شاعرية، شائقة، يصعب على القارئ البسيط تفكيك شفراتها.

- توظيف الرمز والأسطورة بشكل واضح في المجموعة القصصية، هدفه إيصال معاني ودلالات يصعب الإفصاح المباشر عنها، لوضع سياسي قاهر.
- الثقافة العالية والاطلاع الواسع للقاصة منعكس في بناء المجموعة القصصية.
- موضوعات المجموعة عكست الواقع السوري المرير في فترة حرجة، تمثلت في الموت، الحياة، والوطن، الهوية، الغربة، والتيهان، والهوان، والإهانة، والهجرة، والقمع، والقصف، وقهر الرجال، ورغيف الخبز.
- تأنيث المعاناة التي مثلها العنصر النسوي المتمثل في الأمهات.
- تثمين دور الأطفال، حيث كان لهم دور البطولة في المجموعة، وفي الواقع السوري فهم شرارة الثورة الأولى.
- قدمت القاصة السورية زرياف المقداد نموذجا أدبيا فنيا راقيا، نضاليا، ينافس وسائل النضال، والمقاومة الأخرى.
- "فوضى الأشياء" هي شهادة اعتراف لألم مبرح، وصورة واقع حي، تسعى نحو مستقبل أكثر عدلا، وإنسانية، لتظل النكبات بكل مراراتها حافزا للوعي والتغيير.

وفي الأخير يطمئنني حمد الله العلي القدير، فالحمد لله والشكر لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الذي منّ عليّ بالعون والتوفيق أن بلغني نهاية هذا الجهد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني القبول والتوفيق لما فيه الخير، والصلاة والسلام على معلم الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق

التعريف بالقاصة:

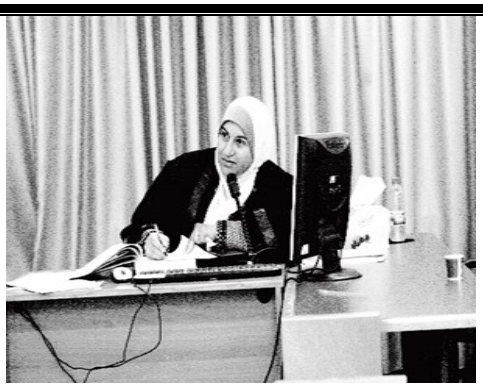

البيانات الشخصية: زرياف عبد القادر المقداد/

كاتبة فرنسيّة من أصل سوري / مقيمة في فرنسا/ أستاذ جامعي في جامعة الوقت الحر إقليم الاكتين /فرنسا

سابقا أستاذة في جامعة دمشق فرع درعا / كلية التربية الثالثة .

zrzr2004@gmail.com

الموبايل: 0033767798098

البريد الورقي:

74 rue d'Etigny 2eme etage_Apt 46, 64000 pau France

المؤهلات العلمية:

دكتوراه تربية تخصص مناهج وطرائق تدريس العلوم .اجازة علوم حيوية كيمائية/ جامعة دمشق / ماستر كوتشنج من المعهد الدولي للتدريب الأوروبي في التدريب الاحترافي للمدربين فرنسا .

الخبرات العملية:

اسم المؤسسة	البلد	الوظيفة	تاريخ البدء	تاريخ الانتهاء
جامعة Aquitaine – Pau (Université du Temps Libre Aquitaine – Pau	فرنسا	أستاذ جامعي / تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها	2017	للوقت الحالي/
Formation / temporaire Energy consulting services	فرنسا	أستاذ جامعي / تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها	2023	2023
تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في / /Madrasati	فرنسا	مدرب مشرف على اعداد المعلمات لتدريس اللغة العربة لغير الناطقين بها ، تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها للكبار والصغار/ مدينة / France/ PAU /	2017	2019
جامعة أريس الدولية	لبنان	أستاذ جامعي – اشراف علمي	2014	2015

مدرسة العودة للاجئين السوريين في لبنان	لبنان	اشراف تربوي وتدريبي على اعداد المعلمات في مجالات التربية وعلم النفس والتدريس	2014	2015 عمل تطوعي
جامعة دمشق / كلية التربية الثالثة	سوريا	رئيس مكتب التربية العملية	2013	2014
جامعة دمشق / / كلية التربية الثالثة	سوريا	أستاذ جامعي تدريس (معلم صف/ ارشاد دبلوم تأهيل تربوي)	2006	2014
معهد إعداد المدرسين	سوريا	تدريس/ اشراف تربوي	1997	2005
مدارس وكالة هيئة الأمم المتحدة	سوريا	تعليم اتدريس	1992	1996

- عضو لجان قراءة المخطوطات في وزارة الاعلام سوريا واتحاد الكتاب العرب المعدة للنشر من العام 2012/2006
- عضو اللجنة الاستشارية في مركز جيل للبحث العلمي / مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية
- عضو تحرير في مجلة (بدايات) مجلة دولية فصلية أكاديمية محكّمة/ جامعة عمار بن ثلجي الأغواط / الجزائر
- – عضو شرف في المرصد الأوربي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- عضو شرف في اتحاد الكتاب الجزائري.

- الدورات التدريبية
- مدرب معتمد من المركز الكندي العالمي/ كندا

- ماستر كوتشنج / المعهد الدولي للتدريب الاحترافي. فرنسا
- دورة تدريبية في التربية السكانية \ صندوق السكان، اليونسكو

من الأبحاث المنشورة:	
عنوان البحث	مكان النشر
الادب السرياني / قصة احقيار الحكيم انموذجا	مجلة الموروث العدد 27/ / الشارقة/ الامارات العربية المتحدة / صادرة عن معهد الشارقة للتراث 2022
حركية المشهد الروائي في رواية احلام مسجونة خلف القضبان الروائي جمال المسالمة..	مجلة ضفاف الامارتية / العدد 58 من مجلة ضفاف الإماراتية / الامارات2023
قراءة / الاغتراب في رواية في فم الذئب/ للروائية والشاعرة ريما آلكلزلي	مجلة اليمامة السعودية / العدد 2745 / 2023
مغامرة المعرفة : قراءة في قصائد د. عاطف الدرابسة	مجلة السلام الدولية / السويد / العدد 10 / 2023
سطوة الاعلام : أعطني طفلاً أعطك عالما	صحيفة الجزيرة الثقافية ج1/ج2/ 2021/
الزمن في الخطاب الروائي كيان مرهون للحدث ام للمكان	مجلة الكويت /2018
عواصف الشعر لا تُبقي ولا تذر ج1/ج2	صحيفة الجزيرة السعودية / الملف الثقافي
قراءة في رقصة الأدويسا للكاتب عز الدين ميهوبي	منتدى آفاق الفكر والثقافة 2024

شموخ المعنى وتعدد تقنيات الخطاب الشعري / قراءة في ديوان أنا من رأي للشاعرة ساجدة الموسوي	قيد النشر
هل تجعل الدرجة العالية من التفكير الانسان انطوائيا	مجلة غرفة 19 العد 13 2024
قراءة /الكتابة الى الفتيان مغامرة محفوفة بالمخاطر ة في قصة الطائر الأعمى للكاتب البحريني جعفر الهدي الصادرة عن دار ومكتبة رؤى 2020/	قيد النشر
من متاهة الاغتراب إلى لذة النّص .. قراءة في مجموعة /وأجري خلف خولة /للسعودي حسن البطران.	قيد النشر
رواية تلتهم الدهشة وتُحيل الأسئلة إلى معاول في الرأس. قراءة في رواية قناع بلون السماء الفائزة بجائزة البوكر للعام 2024 للأسير باسم خندقجي.	قيد النشر
الذاكرة الزمانية والمكانية في نماذج من الرواية العربية	مجلة الموقف الأدبي\ دمشق2008
بحث بعنوان : الذاكرة الزمانية في الرواية السورية / ندوة الرواية: الزمن في الخطاب الروائي\	دمشق2010 / سوريا

بحث بعنوان : دلالات المكان والزمان في الرواية الفلسطينية/ ندوة الرواية 2002دمشق\ سوريا	دمشق سوريا / اتحاد الكتاب العرب 2002
تقنية الفعل المضارع في القصة القصيرة : دراسة في نماذج من القصة المغربية.	الأسبوع الأدبي / اتحاد الكتاب العرب/ دمشق 2001
أثر التعلم المبني على الاستقصاء في تنمية مهارتي التنبؤ والاستدلال في مادة العلوم والتربية الصحية لدى تلامذة الصف الخامس من التعليم الأساسي.	مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، صادرة عن الجمعية العلمية لكليات التربية في الجامعات العربية.2011
استخدام طريقة المشروعات في تدريس مشكلات التلوث البيئي وأثرها في التحصيل	مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، صادرة عن جامعة دمشق.2011
أثر تطبيق التكامل بين طريقتي المحاضرة والعروض العملية في تحصيل طلبة معلم الصف السنة الأولى في مقرر علم وظائف الأعضاء واتجاهاتهم نحوه.	مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، صادرة عن جامعة دمشق.2011
القيم الخلقية عند الراشدين	مجلة المعلم العربي\ نقابة المعلمين\دمشق/2009
أثر مستوى حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارة القراءة عند الأطفال	مجلة المجمع العلمي العربي الهندي /الهند / 2023
التحصيل الدراسي	شبكة الألوكة https://www.alukah.net/social/0/124374/

التكامل بين طرائق التدريس	شبكة الألوكة / http://www.alukah.net/authors/view/home/6275
تطبيق التكامل بين طريقتي التكامل بين طريقتي المحاضرة والعروض العملية	شيكة الألوكة http://www.alukah.net/social/0/101216
عصف الدماغ Brain) Storming)	شبكة الألوكة /http://www.alukah.net/social/0/69667

الكتب المنشورة:		
عنوان الكتاب	مكان النشر	تاريخ النشر
فوضى الأشياء / قصص	باريس/ تركيا	2024
الطرائق التفاعلية وتنمية مهارات عمليات العلم الأساسية بين النظرية والتطبيق	منصو كيندال/ آمازون	2023
صباح الخير باريس هذه قصائدنا / شعر/ مجموعة مشتركة	باريس	2022
سكرة الموت/ قصص	اتحاد الكتاب العرب/ دمشق	2008
المقطومة (رواية)	وزارة الثقافةادمشق	2005
البراري(قصص)	اتحاد الكتاب العرب	2002
جنوب القصة السورية (مجموعة قصصية مشتركة)	دار الاهاليادمشق	2000
شيء من الوجع (قصص)	دار الحوارااللاذقية	1999
الكل يحترق ولا نار ولا دخان (قصص)	دار الاتحادادمشق	1992

الأعمال الأدبية والعلمية قيد الطبع

رواية بعنوان : خوف لا ينام

مجوعة قصصية مشتركة باللغتين العربية والفرنسية سيصدر عن دار كل العرب باريس

مجموعة قصص قصيرة جدا : عنوان بنات أمي

مجموعة قصصية للأطفال بعنوان : حلم قطرة ماء

رواية المقطومة مترجمة للغة الإنكليزية

مجموعة شعرية باللغتين العربية و الفرنسية : غروب بطعم الملح

ترجم عدد من الاعمال القصصية والشعرية في السرد التعبيري إلى اللغة الإنكليزية الاسبانية والألمانية الفرنسية البرتغالية والإيطالية

ندوات أدبية:

المؤتمر العاشر للغة العربية دبي 2024. مشاركة ببحث : دور شركات النفط العالمية في نشر اللغة العربية شركة توتال الفرنسية انموذجا.

ندوة التعليم عن بعد واستراتيجيات تعليم اللغة العربية/ المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة / ضمن فعاليات برنامج : مؤتمر اللغة العربية الدولي الاستثنائي عن بعد الشارقة / 25/ 29/ أكتوبر –دلالات المكان والزمان في الرواية الفلسطينية/ ندوة الرواية 2002دمشق\ سوريا

–الذاكرة الزمانية في الرواية السورية / ندوة الرواية(الزمن في الخطاب الروائي\ دمشق2010 / سوريا

ملتقى القصة القصيرة في رحاب المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح / الورشة العاشرة/

ملتقى القصة القصيرة في المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح / الورشة العاشرة/

ملتقى الرواية العربية السادس / 2021/ نادي الباحة الأدبي الثقافي/ المشاركة بالبحث العلمي الموسوم ب: تقنيات استخدام الزمن في تحديد زمن الحدث في السرد الروائي.

المؤتمرات :

مؤتمر جامعة الشارقة المؤتمر الدولي الافتراضي الثاني ديناميات الحياة الاجتماعية في زمن جائحة كورونا وما بعدها مقاربة الحياة الأسرية، والتعليم، والتنمية المستدامة. / بحث علمي موسوم/ طرائق التدريس التفاعلية في التعلم عن بعد التكامل بين طريقتي: المناقشة، والعصف الذهني.

مؤتمر ندوة التعليم عن بعد واستراتيجيات تعليم اللغة العربية/ المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة / ضمن فعاليات برنامج : مؤتمر اللغة العربية الدولي الاستثنائي عن بعد الشارقة / 25/ 29/ أكتوبر 2020

جميع مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب من العام 2006 الى العام 2014

المؤتمر الأول للباحثين السوريين في العلوم الاجتماعية /مشاركة بورقة علمية حول التعلم التفاعلي ومهارات عمليات العلم الأساسية.

عبر منصة زووم كانون الثاني 2021

جوائز أدبية:

-جائزة أفضل سيناريو للأطفال/ الرزق لا يأتي على طبق من ذهب.1980

جائزة القصة المرتبة الأولى في سوريا عام 1993

-جائزة البتاني للقصة القصيرة عام 1999

التكريم :

*** تكريم في اليوم العالمي للغة العربية في باريس بإشراف مركز ذر للدراسات وصحيفة كل العرب 2022/1/18**

- ***تكريم تميز ثقافي / من رئاسة الجمهورية في العام 2008 / دمشق عاصمة الثقافة العربية**

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

المصادر والمراجع:

- ابراهيم فتحي معجم المصطلحات الادبيه طبع التعاضديه المصريه طبعه 1 1959
- ابو بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصحاح اخراج دائره المعاجم لبنان 1986
- احمد شوقي شوقيات دار الكتاب العربي بيروت 2001
- حسين جمعه ملامح في الادب المقاوم فلسطين نموذجا منشورات الهيئه العامه السوريه للكتاب وزاره الثقافه دمشق 2009
- رشاد رشدي فن القصه القصيره مكتبه الانجلو المصريه طبعه 1 1959
- زرياف عبد القادر المقداد فوضى الأشياء
- سعيد علوش معجم المصطلحات ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر بيروت
- صالح الاشطر في شعر النكبه طبعه واحد مطبعه جامعه دمشق 1960
- طاهر والطار الطعنات طبعه الثالثه الشركه الوطنيه لنشر التوزيع الجزائر
- عبد المالك مرتاض القصه الجزائريه المعاصره

- عزمي بشاره السوريه دروب الالام نحو حريه محاولا محاوله في التاريخ الراهن المركز العربي للابحاث والدراسات السياسيه
- علي الطنطاوي دمشق صور نقاط من جمالها وعبر نقاط من نضالها دار المنار للنشر والتوزيع السعوديه طبعه 2 1987
- عمر لوريكي من وحي الزلزال
- فضيلة بهيليل المادة 64، دار الأمير، ط1، 2021
- فضيلة فاروق تاء الخجل منتديات الايثار
- قسطنطين زريق معنى النكبه دار العلم للملايين بيروت 1948
- محمد تيمور فن القصص مطبعه الهلال طبعه 2 مصر 1948
- محمد حميدان بين قوسين نكبات المدن ذات الاسباب تحقيق خالد الرشيد القاصي دار الابحاث الجزائر طبعه وحيد 2008

المجلات والمواقع الإلكترونية

- سليمان سعيد مربع ابو دبيل البناء الفني والاساليب البلاغيه عن قصيده نكبه دمشق احمد شوقي مجله الاستاذ للعلوم الانسانيه والاجتماعيه جامعه الامير السلطان الاهليه السعوديه مجلد 62 العدد اثنان 2023
- سمير ميخائيل نصير ليس صدفه نقاط ان عشق الياسمين دمشق مجله نفحات القلم 2019
- مجد الدين سعودي المغرب حسن السوسي في ديوانه الشعري روح الياسمين الشعر بطعم الياسمين من موقع Zahratalibdaewalbikr.com في الساعة 11:08 بتاريخ 2025/4/28
- المقداد فوزي صبري ابو الحسن الحوار المتمدن، http:/pem-5y.com على الساعه 12:10 في تاريخ 20/3/24

الفهرس

شكر وعرفان	-
الإهداء	-
مقدمة. ب. د	ب-د
مدخل.....	9-16
النكبة.....	9
مفهومها	10
لغة	10
اصطلاحا.....	11
ادب النكبة	14
الفصل الأول ادب النكبة في القصة العربية.....	17-34
تعريف القصة	17
لغة	17
اصطلاحا	18
نكبات سياسية	19

نكبات اجتماعية	24
طبيعبة	26
اقتصادية	30
الفصل الثاني نكبة دمشق في المجموعة القصصية"فوضى الأشياء	35-63
نكبة دمشق الأولى في شعر احمد شوقي	39
الوضع العام في سوريا	42
التعريف بالمجموعة القصصية فوضى الأشياء	44
من ملامح النكبة الثانية في المجموعة القصصية فوضى الأشياء.....	49
ملامح سياسية	49
ملامح اقتصادية	56
اجتماعبة	60
الخاتمة	64-65
ملحق	67-75
قائمة المصادر والمراجع	77-78
الفهرس	79-80